موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق الأنبياء

دراسة نقدية

د/ حسن أحمد محمد عبد اللطيف

مدرس الفلسفة الإسلامية بقسم الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم _ جامعة المنيا

الملخص العربي

يأتي هذ البحث ليلقي الضوء على موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق الأنبياء بشكل عام ومن خوارق النبي الخاتم بشكل خاص، وسوف نتعرف من خلال هذا البحث على كيف أن مفهوم الخوارق يشتمل على المعجزة والكرامة وغيرها، ثم نتوقف لنكشف عن إمكانية حدوث الخوارق، ونستبين تلك العلاقة بين الخوارق والنبوة وهل هي علاقة ضرورية ولازمة؟ ثم نقوم بتحليل رؤية المفكرين المسلمين لخوارق الأنبياء السابقين؛ وكيف أنهم يرون أن تلك الخوارق كانت تناسب هذه العصور القديمة حيث كان الناس في طور أقرب إلى طور الطفولية فلا يقتنعون إلا بالعجائب والخوارق المحسوسة، ونعرض لبعض التأويلات التي قدّمها بعض المفكرين لهذه الخوارق لتبدو موافقة للنظام الطبيعي، ثم يركز هذا البحث على موقف المفكرين المسلمين من خوارق النبي الخاتم (محمد) صلى الله عليه وسلم؛ حيث يرون أن القرآن الكريم كان المعجزة الكبرى للنبي والتي تحدى بها، ثم اختلفوا حول الخوارق المادية المنسوبة للنبي فمنهم من أنكرها تمامًا، ومنهم من أيدها وقدّم الردود على المنكرين، والبعض قدّم تأويلات لكثير من هذه الخوارق مثل الإسراء والمعراج وانشقاق القمر وغيرها.

الكلمات المفتاحية: خوارق الأنبياء، تأويل المعجزات، الإسراء والمعراج، انشقاق القمر.

The situation of modern Islamic thought regarding the supernatural aspects of the prophets، Critical study

Dr. Hassan Ahmed Mohammed Abdellatef

Abstract

This research comes to shed light on the position of modern Islamic thought of the paranormal prophets in general and the paranormal of the Prophet in particular ،and we will learn through this research on how the concept of the supernatural includes the miracle ،dignity and others ،and then stop to reveal the possibility of the occurrence of the paranormal ،and identify that relationship between the paranormal and prophecy and is it a necessary and necessary relationship ؟Then we analyze the vision of Muslim thinkers of the paranormal of previous prophets ،and how they see that these paranormal were suitable for these ancient times ،where people were in a phase closer to the stage of infantilism ،so they are only convinced of the wonders and the paranormal felt ،and we present some interpretations provided by some thinkers of these paranormal to seem in accordance with the natural system ،then this research focuses on the position of Muslim thinkers from the paranormal of the Prophet Muhammad may God bless him and grant him peace ،where they see that the Holy Qur'an was the great miracle of the Prophet ،which He challenged it ،and then they disagreed about the physical supernatural attributed to the Prophet ،some of them denied it completely ،some of them supported it and gave responses to the deniers ،and some provided interpretations of many of these supernatural things like Isra ،Mi'raj ،the splitting of the moon and others

Keywords :Paranormal prophets ،interpretation of miracles ،Isra and Mi'raj ،splitting the moon.

مقدمة

امتاز العصر الحديث بأنه عصر الشكوك، فبينما تطاول العلم التجريبي وتبنّى اليقين والحتمية أساسًا للعلوم الحديثة مستلهمًا في ذلك العلوم الرياضية، نجد على النقيض من ذلك أن بعض الباحثين في الأديان تمسكوا بالتشكيك، بل والرفض لكثير من العقائد الدينية.

والسؤال الذي نريد أن نطرحه هنا هو: إلى أيّ مدى تأثر التفكير الإسلامي في العصر الحديث بهذه الأفكار الغربية الحديثة وكيف أصبحت نظرة المفكرين المسلمين تجاه خوارق الأنبياء؛ هل انساقوا وراء المقولات الغربية أم كانت لهم رؤيتهم الخاصة.

أهمية موضوع الدراسة:

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى كونه يتناول قضية مهمة تتعلق بالعقائد الدينية، بل تتأسس عليها الديانة حسب رؤية الكثيرين، وهي خوارق الأنبياء، ويظهر هذا البحث كيف كانت نظرة المفكرين الإسلاميين في العصر الحديث إلى هذه الخوارق المنقولة إلينا قرآنًا وسنة.

أسباب اختيار موضوع البحث:

تتمثل أسباب اختياري لهذا البحث في:

١ – خطورة وأهمية موضوع خوارق الأنبياء.

٢ – جدلية هذا الموضوع واستمرار النقاش حوله إلى يومنا هذا.

٣ – كثرة تناول المفكرين المحدثين لهذا الموضوع، وتوفر المادة العلمية فيه.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١ – بيان مفهوم خوارق الأنبياء.

٢ – توضيح مدى أهمية الخوارق وعلاقتها بالنبوة.

٣ – إلقاء الضوء على موقف المفكرين المسلمين المحدثين من خوارق الأنبياء.

٤ – إظهار العوامل التي أدت إلى قول البعض بتأويل خوارق الأنبياء.

أسئلة البحث:

تأتي أسئلة هذا البحث كالآتي:

١ – ما المقصود بخوارق الأنبياء؟

٢ – هل الخوارق ممكنة؟ وما مدى ارتباطها بالنبوة؟

٣ – ما هي الرؤى الجديدة للخوارق التي قدمها الفكر الإسلامي الحديث؟

٤ – هل جاءت تأويلات المفكرين المحدثين للخوارق مقنعة؟

٥ – ما هي العوامل التي ساهمت في تكوين الرؤية الجديدة تجاه خوارق الأنبياء عند المفكرين المحدثين؟

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الاسترادي/ التاريخي؛ حيث نسترد من التراث مقولات الأقدمين عن خوارق الأنبياء، وكذلك يعتمد المنهج النقدي؛ حيث أعرض بالنقد لكثير من مقولات المفكرين المسلمين في العصر الحديث حول خوارق الأنبياء، ثم هناك المنهج المقارن الذي يقارن بين مقولات التراثيين ومقولات المفكرين المحدثين.

خطة البحث:

يأتي هذا البحث ليوضح موقف المفكرين المسلمين في العصر الحديث من خوارق الأنبياء، وقد جعلت عنوانه (موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق الأنبياء، دراسة نقدية) وجاء في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: خوارق الأنبياء؛ مفهوم، وإمكانية، وعلاقة بالنبوة.

المبحث الثاني: موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق الأنبياء السابقين.

المبحث الثالث: موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق النبي الخاتم.

ثم خاتمة بها أهم النتائج، وقائمة بالمراجع.

المبحث الأول:

الخوارق: مفهوم، وإمكانية، وعلاقة بالنبوة

في هذا المبحث نحاول توضيح مفهوم الخوارق في اللغة والاصطلاح، ثم نتناول آراء القدماء والمحدثين حول إمكانية حدوثها، ونستوضح بعد ذلك علاقة الخوارق بالنبوة وهل هي لازمة للنبوة أم لا.

أولًا: مفهوم الخوارق:

لغة: جاء في (لسان العرب) لابن منظور(ت٧١١هـ)" خَرَقه يَخْرِقُه خَرْقاً وخرَّقه واخْتَرَقه فتخَرَّق وانخرَق واخْرَوْرَق، يَكُونُ ذَلِكَ فِي الثَّوْبِ وَغَيْرِه" [١]، وجاء في (تهذيب اللغة) لأبي منصور الأزهري(ت٣٧٠هـ)" الْخَرْقُ الشَّقُّ في الحائط وَالثَّوْبِ ونحوه"[٢]، ويضيف لنا المعجم الوسيط بجوار المعني اللغوي المعنى الكلامي فقد جاء فيه "يُقَال سيف خارق قَاطع وعِنْد الْمُتَكَلِّمين مَا خَالف الْعَادة وَهُوَ معجز إِن قَارن التحدي"[٣]، وكذلك ما جاء في (معجم اللغة العربية المعاصرة) للدكتور أحمد مختار عمر(ت٢٠٠٣م) أن خارِق مفرد وجمعه خَوارِق وهو اسم فاعل من خرَقَ، وهو كلُّ ما خرج عن العادة، وما يخرق نظامَ الطبيعة كالمعجزات، وما يجاوز قدرةَ الإنسان[٤]

إذن فإن الخوارق تخرج عن العادة أو قل هي تخرق العادة أو نظام الطبيعة المعهود وهي بذلك تجاوز قدرة البشر فهي من فعل الله وحده.

اصطلاحًا: جاء في دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي (ت١٩٥٤م) "الخارق الأمر الذي يخرق العادة وجمعه خوارق"[٥].

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ج١٠، حرف القاف فصل الخاء، ص٧٣

(٢) أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ج٧، ص١٤

(٣) نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية،١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م، ج١، مادة خرق، ص٢٢٩

(٤) دكتور أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى،١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ج١، مادة خرق، ج١،ص ١٣٥

(٥) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، دار الفكر بيروت، المجلد الثالث، ص٦٩٦

وإذا أردنا توضيحًا للخارق وأنواعه ذهبنا إلى أبي البقاء الكفوي(ت١٠٩٤هـ) حيث يقول في كتابه(الكليات):"والخارق معْجزَةً إِن قَارن التحدي، وَإِن سبقه فإرهاص، وَإِن تَأَخّر عَنهُ بِمَا يُخرجهُ عَن الْمُقَارنَة الْعُرْفِيَّة فكرامة فِيمَا يظْهر، وَإِن ظهر بِلَا تحد على يَد ولي فكرامة لَهُ، أَو على يَد غَيره فسحر أَو مَعُونَة أَو اسْتِدْرَاج أَو شعبذة أَو إهانة كَمَا وَقع لمُسَيْلمَة الْكذَّاب"(٦).

وجاء في كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) للتهانوي(ت بعد١٧٤٥م) أن الخارق في عُرف العلماء هو الأمر الذي يخرق بسبب ظهوره العادة، وهو ينقسم إلى ستة أقسام؛ لأنّ الخارق إمّا يظهر عن المسلم أو الكافر، والأول إمّا أن لا يكون مقرونًا بكمال العرفان وهو **المعونة** أو يكون؛ وحينئذ إمّا يكون مقرونًا بدعوى النبوّة وهو **المعجزة** أولا، وحينئذ لا يخلو إمّا أن يكون ظاهرًا من النبي قبل دعواه وهو **الإرهاص** أولا، وهو **الكرامة**، والثاني وهو الظاهر على يد الكافر إمّا أن يكون موافقًا لدعواه وهو **الاستدراج** أولا، وهو **الإهانة**(٧).

إذن فالخوارق اسم عام يدخل تحته المعجزة والإرهاص والكرامة وكل ذلك يحدث للنبي، والكرامة والمعونة تحدث للأولياء وعوام المسلمين، بينما الاستدراج يحدث لمدعي النبوة الكاذب وكذلك الإهانة، أما السحر فليس من الخوارق لأن السحر يتم تعلّمه وتعليمه ويتكرر مرات ومرات وبذلك يخرج من كونه من الخوارق.

والذي يهمنا من هذه الخوارق ما يحدث للأنبياء والرسل عليهم السلام، سواءً كان إرهاصًا قبل النبوة أو معجزة بعد النبوة مع التحدي، أو كرامة بدون تحدٍ.

قال ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) عند حديثه عن علامات النبوة" ومن علاماتهم أيضًا وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسمّيت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد وإنّما تقع في غير محلّ قدرتهم وللنّاس في كيفيّة وقوعها ودلالتها على تصديق الأنبياء خلاف"(٨).

(٦) أبوالبقاء الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة الأولى،المحقق :عدنان درويش، محمد المصري،ص ٤٣٣

(٧) التهانوي: كشاف اصطلاح الفنون والعلوم، تحقيق د/علي الدحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،الطبعة الأولى ١٩٩٦ ، ج١، ص ٧٣٠

(٨) ابن خلدون: العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن،والفهارس:أ.خليل شحادة،مراجعة:د.سهيل زكار،الناشر:دارالفكر،بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م،ج١،ص ١١٨

إذن فإن الخوارق من علامات النبوة وتشهد على صدق الأنبياء وهي أفعال يعجز عن فعلها البشر ولذلك قد أسموها معجزات أيضًا.

وذكر **ابن تيمية** (ت٧٢٨هـ) أن الأمر الخارق للعادة يندرج تحته كلٌ من المعجزة والكرامة وكان المتقدمون يسمون الجميع بالآيات ولكن المتأخرين خصّوا النبي بالمعجزة والولي بالكرامة(٩). إذن فإن خرق العادة ليس مختصًا بالمعجزة وحدها بل إن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادة ولكن المعجزة تكون للنبي ويشترط فيها التحدي ولا يكون ذلك في الكرامة.

والمعروف أيضًا كما يذكر الشيخ مصطفى صبري (ت ١٩٥٤م) أن الوارد في القرآن هو لفظ الآية والبرهان والبيّنة والحق والسلطان والفرقان(١٠) ولم ترد لفظة الخارق أو المعجزة أو الكرامة.

وعند رشيد رضا (ت١٩٣٥م) أن آيات النبوة أعم من المعجزات، فمن آيات نبوته بشائر الأنبياء السابقة وهي لا تسمى معجزات(١١)، ويفرّق حسن حنفي (ت٢٠٢١م) بين الآية والمعجزة: فالآية تتفق مع قوانين الطبيعة والعقل، في حين أن المعجزة _ في رأيه _ ضد قوانين الطبيعة والعقل(١٢).

ويذكر رشيد رضا (ت١٩٣٥م) أن الخوارق قسمان؛ فالأمر الخارق للعادة إما أن يكون خرقه لها بمجيئه على خلاف سنن الكون المعروفة، أو بكونه لم تعرف له سنة طبيعية يندرج فيها؛ مثال الأول العلم والتهذيب اللذين كان عليهما رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ ، ومنه إحياء الموتى لعيسى وعصا موسى عليهما السلام، ومثال الثاني المكاشفات ومعرفة بعض الأمور قبل وقوعها؛ فإن للنفوس البشرية والأرواح الإنسانية استعدادًا لهذا الأمر، ولله تعالى فيه سنة روحية مخصوصة كسائر السنن الكونية، ولكن هذه السُّنَّة لم تزل من الأمور الغامضة(١٣).

وفيما يلي نستوضح _باختصار_ معنى كل من المعجزة والكرامة والإرهاص وهي كلها خوارق تحدث للأنبياء.

(٩) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى، تحقيق عبدالرحمن محمد قاسم،الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م ،ج١١،ص ٣١٢

(١٠) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، تحقيق أنور الباز،وعامر الجزار، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ،١٩٨١ م،ج٤،ص ١٢٤

(١١) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،١٣٢٧هـ ،الطبعة الثانية، المجلد السادس، ص٦٧

(١٢) حسن حنفي:من العقيدة إلى الثورة، مكتبة مدبولي،المجلد الرابع من النبوة إلى المعاد، ٧٣

(١٣) انظر محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثاني، ص٤١٧

أولًا: المعجزة

إذا استعرضنا تعريف المعجزة عند القدماء والمحدثين عرفنا أنها تندرج تحت خوارق العادة وأنها تكون من فعل الله وحده تأييدًا لنبي من أنبيائه؛ حيث يرى الباقلاني (ت٤٠٢هـ) أن المعجِز الحقيقي هو ما ينفرد الله بالقدرة عليه ولا يصح دخوله تحت قدرة الخلق من الملائكة والبشر والجن[١٤]، ونجد تعريفها عند فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) بأنها :"أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة"[١٥] بينما عند الإيجي (ت٧٥٦هـ) المعجزة هي "ما قصد به إظهار صدق من ادّعى أنّه رسول الله"[١٦]، وعند التفتازاني (ت٧٩٢هـ) هي "أمر يظهر بخلاف العادة على يدي مدّعي النبوة عند تحدّي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله"[١٧]، وقريب منه تعريف القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) بأنها:"ما من حقه أن يكون من فعله تعالى ويحدث عند ادّعاء النبي النبوةَ، ويكون ناقضًا للعادة، فيعلم أنه تعالى فعله على سبيل التصديق له فيما ادّعاه من النبوة"[١٨]، كذلك تعريفها عند الجرجاني (ت٨١٦هـ) بأنها:"أمر خارق للعادة داعٍ إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادّعى أنه رسول من الله"[١٩].

ويربط رشيد رضا (ت١٩٣٥م) بين خرق العادة والمعجزة حين يذكر تعريف المعجزة كما وردت في قاموس الكتاب المقدس وكونها ضرورية لتقوية الدين ويسمونها في الكتاب المقدس (عجيبة) وهي: حادثة تحدث بقوة إلهية خارقة مجرى العادة الطبيعية لإثبات إرسالية من جرب على يده أو فيه، وتكون فوق الطبيعة لا ضدّها، وتحدث بتوقيف سنن الطبيعة لا بمعاكستها، ويناط فعل العجائب بالله وحده أو بمن يسمح له بذلك، ولا بد من العجائب لتعزيز الديانة؛ فكثيرًا ما يستشهد المسيح بعجائبه لإثبات لاهوته وكونه المسيح، وكان يفعلها لتمجيد الله ولهداية نفوس الناس ومنفعة أبدانهم، وكان يفعلها أمام جماهير أصحابه وأعدائه ولم ينكروها[٢٠] .

---

(١٤) الباقلاني: كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، المكتبة الشرقية، بيروت، صححه ونشره الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، ١٩٥٨م ،ص ٨

(١٥) فخر الدين الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، مكتبة الكليات الأزهرية،ص ٢٠٧

(١٦)عضد الدين الإيجي: المواقف في علم الكلام،عالم الكتب – بيروت ،ص٣٣٩

(١٧) سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية، مكتبة النشري للطباعة والنشر، كراتشي باكستان،١٤٣٠هـ ،ص ٣١٥-٣١٦

(١٨) القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين، ضمن كتاب رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة،دار الشروق،الطبعة الثانية١٤٠٨هـ،١٩٨٨م، ص ٢٦٥

(١٩) الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ،١٩٨٣م ،ص ٢١٩

(٢٠) انظر محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ، ص١٠٦،١٠٥

وكذلك نجد (العقاد: ت١٩٦٤م) يربط بين خرق العادة والمعجزة وذلك في تعريفه للمعجزة بأنها "حادث خارق لنواميس الكون التي يعرفها الإنسان مقصود به إقناع المنكرين بأن صاحبها مرسل من قبل الله إذ كان يأتي للناس بعمل لا يقدر عليه غير الله "[٢١].

وهذا ما نجده أيضًا لدى محمد فريد وجدي (ت١٩٥٤م) حين يعرفها بقوله إنها: " الأمر الخارق للعادة الذي يحصل على يد نبي مرسل إدلالًا على صدق رسالته"[٢٢]، ومثله أيضًا تعريف الشيخ محمد متولي الشعراوي (ت١٩٩٨م) بأنها:" خرق لنواميس الكون أو لقوانين الكون يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسله ليدل على منهجه ويثبتهم فيه ويؤكد للناس أنهم رسله تؤيدهم السماء وتنصرهم، والسماء حين تؤيد وتنصر تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئًا"[٢٣].

وحين وضع المتكلمون والمفكرون شروطًا للمعجز، جعلوا منها أن يكون خارقًا للعادة بجوار شروط أخرى منها أن أن يكون فعل الله، وأن يتعذر معارضته، وأن يكون ظاهرًا على يد مدعي النبوة ليعلم أنه تصديق له، وكذلك التحدي_ ولم يشترطه البعض_، وأن يكون موافقًا للدعوى، وألا يكون ما ادعاه وأظهره مكذبًا له، وأن لا يكون متقدمًا على الدعوى بل مقارنًا لها[٢٤].

ويشترط محمد عبده (ت١٩٠٥م) للمعجزة التحدي، والاقتران بدعوى النبوة[٢٥]، بينما يشترط العقاد (ت١٩٦٤م) شرطين مختلفين، أن المعجزة تكون من حُسن ورجحان، وأنها من قدرة الله وحده لا من قدرة أحد سواه[٢٦].

ولزيادة توضيح مفهوم المعجزة بيّنوا أنواع المعجزات، فهذا أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ) يوضح أن هناك:

١ – المعجزة الحسية: كإحياء الموتى ونبع الماء من الأصابع وهي للعوام.

٢ – والمعجزة العقلية: كالعلم بالمغيبات وهي لأولي الألباب.

---

(٢١) عباس محمود العقاد: ساعات بين الكتب، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد المجلد السادس والعشرون،الأدب والنقد،(٣)(ساعات بين الكتب) دار الكتاب اللبناني- بيروت، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م،ص ١٩

(٢٢) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، دار الفكر بيروت، المجلد السادس ،ص ٢٠٠

(٢٣) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، الناشر أخبار اليوم،ص ٦

(٢٤) الباقلاني : البيان، ص٢٧ـ٢٨ ،عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: المواقف ،ص٣٣٩-٣٤٠، وقد جعلها القرطبي خمسة شروط، انظر الجامع لأحكام القرآن ،ج١، ص٦٩، تحقيق هشام سمير البخاري،الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م

(٢٥) محمد عبده: رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى،١٤١٤هـ،١٩٩٤م، ص ٨٢

(٢٦) عباس محمود العقاد: ساعات بين الكتب، ضمن المجلد السادس والعشرون من المجموعة الكاملة ص ٢٣

٣ – والمعجزة الذوقية الحدسية: كالقرآن وهي لأرباب القلوب.

وفي رأيه أن الأولى أقوى ثم الثانية ثم الثالثة وفي الباطن والشرف على العكس والإيمان بسبب الأولى أقل ثوابًا وتركه أشد عقابًا ثم الثانية ثم الثالثة فهو أكثر ثوابًا وتركه أقل عقابًا لأن الإيمان بالغيب أقوى والمعجزة الظاهرة إدراكها أسهل(٢٧).

وبذلك يتضح أن المعجزة هي إحدى الخوارق التي يختص بهاء الأنبياء ولا تكون لغيرهم وتأتي بعد النبوة ويكون فيها التحدى وهذا ما يميزها عن بقية الخوارق.

الإرهاص:

ذكر الجرجاني في تعريفاته ثلاثة تعريفات للإرهاص(٢٨):

الأول: ما يظهر من الخوارق عن النبي قبل ظهوره، كالنور الذي كان في جبين آباء نبينا صلى الله عليه وسلم.

الثاني: إحداث أمر خارق للعادة دال على بعثة نبي قبل بعثته.

الثالث: هو ما يصدر من النبي قبل النبوة من أمر خارق للعادة.

فالإرهاص من الخوارق التي يختص بها الأنبياء ويتميز الإرهاص عن المعجزة بأنه يكون قبل النبوة ولا يتحدى به النبي، وقد يحدث في زمن قبل مولده كحادثة الفيل وهلاك أبرهة وجيشه بالطير الأبابيل(٢٩)، وقد يحث الإرهاص في مكان ليس فيه النبي مثلما حدث لإيوان كسرى ونار فارس فقد روى أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ) أنه لَمَّا كانَت اللَّيلةُ التي وُلِدَ فيها رَسُولُ اللهِ، صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ، ارْتَجَسَ إِيوَانُ كِسْرَى، وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَربعَ عَشرَةَ شُرْفَةً، وَخَمَدَتْ نار فَارِسَ، وَلَمْ تَخْمُدْ قَبْلَ

(٢٧) أبوالبقاء الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى،تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، ص ١٥٠

(٢٨) الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ،١٩٨٣م،ص ١٦

(٢٩) الخبر رواه ابن هشام في «السيرة»، ودلائل النبوة لأبي نعيم، ونقله الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»، ورواه البيهقي في دلائل النبوة، ومشهور في تفسير سورة الفيل في كتب التفاسير.

ذلك [٣٠]، وقد يحدث الإرهاص لغير شخص النبي كما حدث لأم نبينا حيث رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشام[٣١].

ثالثًا: الكرامة

عرّف الجرجاني الكرامة بقوله: "هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا، وما يكون مقرونًا بدعوى النبوة يكون معجزة"[٣٢]

وهذا تعريف يظهر منه أن الكرامة من الخوارق، ولكنه يجعلها للصالحين من غير الأنبياء.

وقال التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) "أمّا ما يصدر من غير الأنبياء مقرونا بكمال الإيمان والتقوى والمعرفة والاستقامة فهو ما يقال له كرامة، وما يقع من عوامّ المؤمنين فيسمّى معونة، وأما ذاك الذي يقع من الكفار والفسّاق فهو استدراج"[٣٣]

ولكن الحق أن الكرامة تكون للأنبياء كما تكون للأولياء وهذا ما نص عليه القاضي أبو بكر الأشعري فقد نقل عنه القشيري(ت٤٦٥هـ) قوله: "إن المعجزات تختص بالأنبياء، والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء"[٣٤]، كذلك نجد ابن رشد (ت595هـ) يسمي الخوارق الحسية التي ظهرت على يد النبي ولم يتحدَّ بها بالكرامات[٣٥]، وعند الإيجي(ت٧٥٦هـ) فإن ما حدث للنبي قبل البعثة مثل شق الصدر وإظلال الغمامة وغير ذلك هو كرامة للنبي[٣٦].

وبذلك يتضح أن معنى خوارق الأنبياء يشمل كل ما وقع للأنبياء من خوارق للطبيعة والعادة، سواء كانت إرهاصات، وهو ما كان قبل النبوة، أو معجزة يتحدى بها النبي ويُعجز قومه بها، أو كرامة، وهو ما يحدث للنبي الخوارق، ولا يكون معجزة يتحدى بها، وهي أكثر ما حدث للأنبياء، وقد

(٣٠) البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ،١٩٨٨م، ج١، ص ١٢٦

(٣١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» ، والحاكم في «المستدرك» ، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد» ، وأقره الذهبي، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»، وقال: «رواه أحمد، والطبراني، والبزار، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان. ورواه البيهقي في دلائل النبوة.

(٣٢) الجرجاني: التعريفات، ص ١٨٤

(٣٣) التهانوي، كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، ج١ص ١٥٠

(٣٤) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية،تحقيق: د. عبد الحليم محمود ود.محمود الشريف، دار المعارف القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م،ج٢ص ٥٢١

(٣٥) ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق د/محمود قاسم،الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٦٤م، ص ٢١٣

(٣٦) عضد الدين الإيجي: المواقف في علم الكلام، ص٣٤٠

أطلق عليها البعض معجزة على سبيل التجاوز، إذ إن المعجزة هي ما يتحدى به النبي حسب المفهوم الكلامي المعروف.

وبذلك يتضح لماذا اختار الباحث لفظ الخوارق ذلك لكونه شاملًا لكل ما يحدث للأنبياء بينما لفظ معجزة يدل كما عرفنا على الخارق الذي يتحدي به النبي، وقد عرفنا أن الأنبياء تحدث لهم خوارق لا يتحدون بها، وهي أغلب ما حدث لهم حيث تأتي الخوارق معونة أو نصرًا أو حفظًا وبدون تحدٍ فهذه الخوارق تكون كرامة للنبي وما يحدث قبل نبوته ويتعلق به يكون إرهاصًا.

ثانيًا: إمكانية الخوارق

كتب أبو حامد الغزالي (ت505هـ) في (تهافت الفلاسفة) مثبتًا إمكانية خرق العادات وأنها ليست من المحالات العقلية، ودليله على ذلك:

١- أن المادة قابلة لكل شيء فيمكن قلب العصا حية ذلك لأن التراب يستحيل نباتًا والنبات يأكله الحيوان فيستحيل دمًا والدم يستحيل منيًّا والمني يتخلق حيوانا في الرحم وهكذا عبر هذه الأطوار يتحول التراب إلى حيوان فلا مانع إذن أن الله يختصر الوقت ويحيل المادة حيوانا وتكون معجزة للنبي(٣٧).

٢ – "إن من استقرأ عجائب العلوم لم يستبعد من قدرة الله تعالى ما يُحكَى من معجزات الأنبياء عليهم السلام"(٣٨)

ومعنى ذلك أن الخوارق والمعجزات تجري وفق القوانين الطبيعية، ولكن الكثير من الناس لا يعرفون هذه القوانين ولذلك ينكرون الخوارق والمعجزات.

3 – ومن المعلوم أن (الغزالي) لكي يثبت إمكانية حدوث خوارق الأنبياء قال برفض الاقتران الضروري بين الأسباب والمسببات، لأنه في رأيه أن القول بهذا الاقتران الضروري يؤدي إلى رفض المعجزات والقول باستحالتها، وهذا في رأيه ما قالت به الفلاسفة حيث نسب إليهم إنكار المعجزات ثم تأويل ما جاء في القرآن منها(٣٩) وقد ذكر استدلالهم على عدم إمكانية معجزة نجاة سيدنا إبراهيم من النار ثم فنّده(٤٠).

(٣٧) أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر،الطبعة السادسة،ص ٢٤٦
(٣٨) السابق،ص ٢٤٨
(٣٩) السابق،ص ٢٣٦
(٤٠) السابق، ٢٤٣

لكن (ابن رشد:ت595هـ) ينكر هذه التهمة مؤكدًا أن الفلاسفة لم يتعرضوا للمعجزات لأنها مبادئ الشرائع، والفاحص عنها أو المشكك فيها يحتاج إلى عقوبة عندهم وأن المعجزات أمر إلهي لا تدرك حقيقته العقول البشرية[٤١]، وأن من أنكر المعجزات هم زنادقة الإسلام وليس الفلاسفة[٤٢].

نعم لم يَرِد عن الفلاسفة إنكار المعجزات فهذا ابن سينا(ت٤٢٧هـ) _الذي يشتد الغزالي في انتقاده ويجعله الممثل الأول للفلاسفة_ تكلم عن وقوع المعجزات ونصح بأنه لا يصح المسارعة إلى إنكار ما يصل إلينا من الغرائب والعجائب ما لم يقم برهان على استحالتها [٤٣]، ولكنه يجعل معجزات الأنبياء تحدث نتيجة قواهم النفسية المجبولون عليها[٤٤].

إذن فالفلاسفة وخاصة المسلمون منهم بريئون من هذه التهمة فهم رغم قولهم بالترابط الضروري بين الأسباب والمسببات لم يُعرف عنهم إنكار خوارق الأنبياء، وعلى هذا فإن خوارق العادات ثابتة عند من يقول بالسببيّة وعند من ينكرها.

ولكننا نجد الملاحدة هم الذين تكلموا في خوارق الأنبياء مثل ابن الراوندي (ت301هـ) فقد ذكر أبوالحسين الخياط (ت300هـ) أن له كتابًا اسمه (الزمرذ) قال فيه إن آيات الانبياء ما هي إلا مخاريق ومن جاءوا بها كانوا سحرة ممخرقين[٤٥] وقد كتب في الرد عليه داعي دعاة الإسماعيلية هبة الله الشيرازي(ت470هـ) في كتابه (المجالس المؤيدية)، وكذلك من هؤلاء الملاحدة أبو بكر الرازي الطبيب(ت311هـ) حيث كتب كتابين في الهجوم على النبوة والمعجزات الأول أسماه(مخاريق الأنبياء أو حيل المتنبئين) والثاني هو (نقض الأديان أو في النبوات)[٤٦]وقد ردّ عليه داعي الإسماعيلية (أبو حاتم الرازي:ت322هـ) في كتابه (أعلام النبوة، الرد على الملحد أبي بكر الرازي).

والحقيقة أن إنكار خوارق الأنبياء ظهر بشكل واضح في العصر الحديث، وبدا في ظاهره كأنه متوافق مع العلم المادي الحديث، فقد اقتنع فلاسفة العصر الحديث وعلماؤه أن هذا العالم يسير وفق قوانين وقواعد لا تتغير أبدًا، وأنه لا يمكن أن يتدخل في عمل الطبيعة أحد، وليس هناك غايات

(٤١) ابن رشد: تهافت التهافت،تحقيق د/ سليمان دنيا،دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م،القسم الثاني ،ص ٧٧٣
(٤٢) السابق،ص ٧٩١
(٤٣) ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، تحقيق د/ سليمان دنيا،دار المعارف بمصر، 1968، الطبعة الثانية،القسم الرابع، التصوف ،ص 150،116

(٤٤) السابق ،ص 158، وما بعدها
(٤٥) أبو الحسين الخياط: الرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق دكتور نيبرج، نشر :مكتبة الدار العربية للكتاب- القاهرة،نشر:أوراق شرقية - بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ١٩٩٣م،ص ٢-٣
(٤٦) إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة،١٩٧٦،ص ٨٩

أو أهداف لأحداث وأعمال الطبيعة خيرًا كانت أو شرًا[٤٧] وأصبح من العسير على الإنسان المعاصر الذي لم يدرك حوله البعد الإلهي أن يفهم الأحداث التي أسست الديانات الكبرى ومن ضمنها المعجزات[٤٨].

وهذا ما نبّه إليه (رشيد رضا:ت1935هـ) من أن الخوارق وأمثالها مما ينفّر العلماء عن الدين في هذا العصر[٤٩].

لقد هاجم الفلاسفة العقليون المعجزات وخاصة (ديفيد هيوم:ت1776م) ففي رأيه أن المعجزة خرق للمسلك العام للطبيعة وهي بذلك لا يمكن حدوثها، وكذلك لا يمكن التصديق بها لأن روايات المعجزات تعرضت للتحريف مثل بقية الروايات التاريخية التي جاءت عبر عصور كانت جاهلة بأدنى معرفة بالتوثيق والنقد التاريخي، وكذلك عدم توافر التواتر في هذه الروايات، كما زعم أن الإيمان بالخوارق لا يشيع إلا بين الأمم الجاهلة[٥٠].

ويقرر (هيوم:ت1776م) في كتاب (مبحث في الفاهمة البشرية)" أنه لا يمكن لأي شهادة بشرية أن يكون لها ما يكفي من القوة لإثبات معجزة"[٥١]، ويقول "إن أي شهادة لا تكفي لإثبات معجزة إلا إذا كانت الشهادة من النوع الذي يكون كذبها أكثر إعجازًا من الواقع التي تحاول إثباتها وحتى في هذه الحالة يحصل دحض متبادل للحجج وتعطينا الحجة الأقوى وحدها يقينا متناسبا مع درجة القوة الباقية بعد طرح القوة الأضعف"[٥٢]

ومن العجيب أن (ديفيد هيوم:ت1776م) من أبرز الرافضين للفكرة القائلة بالترابط الضروري بين الأسباب والمسببات؛ إذ يقول: "عندما ننظر خارجنا نحو الأشياء الخارجية ونتأمل في عمل الأسباب لا نكون قادرين البتة على أن نكتشف من حالة واحدة قدرة أو اقترانًا ضروريًّا أيْ خاصية تقرن الأثر إلى السبب وتجعل من الواحد النتيجة المحتمة للآخر، وسنجد فقط أن الواحد يلي

(٤٧)جون هرمان راندال : تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، ترجمة د. جورج طعمة،دار الثقافة بيروت ،ص ٣٦٠

(٤٨) رون هاليبر: العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار، الجهود الفلسفية عند محمد أركون، ترجمة جمال شحيد، ط١، ٢٠٠١م، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا ،ص ٣٧

(٤٩) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ص ١٠٥

(٥٠) د/ محمد عثمان الخشت: الدين والميتافيزيقا عند هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٣١

(٥١) ديفيد هيوم: مبحث في الفاهمة البشرية ، ترجمة د.موسى وهبة، دار الفارابي،بيروت لبنان، الطبعة الأولى،٢٠٠٨ ص ١٧٤

(٥٢)السابق، ص ١٥٩-١٦٠

الآخر بالفعل في الواقع[٥٣] وهذا يوضح أن "الأسباب والمسببات لا تكتشف بالعقل بل بالخبرة"[٥٤]. وهو في هذا يوافق (الغزالي:505هـ) إلا أن (الغزالي) أنكر هذا الترابط الضروري ليجعل المعجزة ممكنة، ولكن (هيوم) رغم اعتناقه هذه الفكرة إلا إنه لا يرى إمكانية المعجزة!

ومن المؤكد أن محمد أسد (ت1992م) تأثّر بهذا الاتجاه في الفكر الغربي فهو وليد هذه الثقافة، ولذلك نراه يصرّح بإنكار وقوع المعجزات، ويعدها مجرد أساطير، ويعلل وجود هذه المعجزات أو الأساطير المنسوبة للأنبياء في القرآن لكونها كانت ضاربة بجذورها في عقول الناس في ذلك الزمان؛ فاستخدمها القرآن ليبث تعاليمه العقدية والأخلاقية ودون أن يؤكد صحتها أو يدحضها، ثم يعطي تأويلات للمعجزات؛ فالحوت الذي ابتلع يونس عليه السلام هو رمز للغم والكرب الذي وقع فيه ويفسرّ الطير الأبابيل كما فسرّها الإمام محمد عبده [٥٥]. وإني لأعجب أشد العجب من قول محمد أسد إن معجزات الأنبياء كانت مجرد أساطير متداولة في البيئة العربية فاستخدمها القرآن لنشر تعاليمة أليس ذلك يعني أن القرآن أساطير الأولين كما زعم الكافرون {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}(الفرقان:٥).

وكان العقاد(ت ١٩٦٤م) ممن عُنِيَ بالرد على (ديفيد هيوم:1776م)؛ وبعد أن يوجز لنا العقاد رأي وأدلة هيوم في إنكاره لخوارق الأنبياء يقول العقاد إنَّ في رأيه وجاهة، ولكن كذلك فيه مغالطة لأن دعوى النبي أنه مُرسل من الله برسالة لابد من الإيمان بها للنجاة، وليس يُطلب من النبي حينئذ إلا أن يأتي بعمل لا تشك في أنه عمل إلهي يعجز عنه كل البشر فإذا قدر على هذا الفعل فقد ألزمك الحجة ووجب عليك تصديق رسالته[٥٦].

ثم يبيّن لنا (العقاد: ت1964م) أنّ الإسلام دين المعجزات في كل شيء، ولكنه ليس بدين المعجزة التي تفحم العقل ولا تقنعه، لأنه دين العقل، والتفكير فريضة فيه، ويؤمن المسلم بالنواميس الكونية أشد من إيمان هؤلاء الداعين إلى تقرير تلك النواميس باسم العلم التجريبي؛ لأنه يؤمن بأن

(٥٣) السابق، ص ٩٥
(٥٤) السابق، ص ٥٢
(٥٥) محمد أسد: رسالة القرآن ، ص ٦٦، ٩٨٩، نقلًا عن د/سيد حسين العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ج٢، دار ماجد عيري للنشر والتوزيع، ط١ ١٤٢٤هـ،٢٠٠٤م ،ص ١٧٧
(٥٦) عباس محمود العقاد: ساعات بين الكتب،ص ٢١

النواميس سنة الله في خلقه، ولكنه يؤمن كذلك بإمكان الخوارق والمعجزات لأنها ليست بأعجب مما هو حادث ومشاهد(٥٧).

وإذا ثبت أن التوحيد كان فتحًا وتصحيحًا لمسار النظر والعقل تجاه الطبيعة فكذلك الإيمان بإمكان المعجزة هو فتح لأنه يخلص العقل من حجر الحالة الواحدة التي تغلق عليه أبواب الاحتمال غير باب الواقع المحدود(٥٨).

وكذلك فإن الإسلام يضع المعجزة في موضعها من التفكير ومن الاعتقاد فهي ممكنة لا استحالة فيها على الخالق، ولكنها لا تهدي من لم تكن له هداية من بصيرته واستقامة تفكيره فمن لم يهتد بآيات السماوات والأرض لن تزيده الخوارق إلا ضلالًا وهذا ما أوضحه القرآن الكريم ردًا على من طالبوا الرسول بالخوارق(٥٩).

وعلى ذلك فلا يمتنع عقلا أن تقع المعجزة، وإنما الذي يمتنع عقلا أن تقع عبثًا لغير ضرورة مع إمكان الاستغناء عنها إذا تبين أن إقناع المكابرين كان ممكنًا بغيرها، إن تغيير قوانين الكون ممكن إذا كان لحكمة، أما المستحيل فهو وقوع التغيير عبثًا في الكون(٦٠).

كذلك لا يجوز إنكار خوارق العادات لأننا علمنا في هذا العصر أن أمورًا كانت تعد في الماضي من الخوارق ثم أصبحت اليوم من الممكنات المتواترات، وما جاز فيما نعلمه يجوز فيما نجهله فلا استحالة في خوارق العادات ومن قال باستحالتها لزمه الإثبات لأنه يدعي الاستحالة عقلًا بغير دليل(٦١).

---

(٥٧) عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد المجلد الخامس، بحوث إسلامية، دار الكتاب اللبناني- بيروت، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م،ص ٩٠٩

(٥٨) عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد المجلد الأول، توحيد وأنبياء، دار الكتاب اللبناني- بيروت، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م،ص ٥٣٢

(٥٩) عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية،ص ٩١٢

(٦٠) عباس محمود العقاد: الفلسفة القرآنية، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد المجلد الرابع، القرآن والإنسان، دار الكتاب اللبناني- بيروت، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م،ص ٣٤

(٦١) عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، ،ص ٩١٠-٩١١

وبذلك تتضح رؤية (العقاد) لخوارق الأنبياء حسب الفهم الإسلامي لها فهي ممكنة وغير مستحيلة عقلًا، وهي تدخل تحت قدرة الخالق العظيم الذي كلّ مخلوقاته هي معجزات واضحة أمام أعيننا في كل وقت، وهو سبحانه لا يحدث معجزة لنبي إلا لحكمة، وبهذا يصير الاعتقاد بإمكانية المعجزة غير معطّل للعقل الذي لطالما حفزّه القرآن الكريم، بل يُخرج العقل من حجر الحالة الواحدة الرتيبة.

وخوارق الأنبياء عند محمد عبده (ت1905م) ممكنة، ودليله: أنها ليست من نوع المستحيل عقلا لأنّ مخالفة السير الطبيعى المعروف في الإيجاد مما لم يقم دليل على استحالته بل ذلك مما يقع، ومن يقول إن ذلك لا بد أن يكون تابعًا لناموس آخر طبيعى؛ يقول له (محمد عبده) إن واضع الناموس (الله) هو موجد الكائنات فليس من المحال عليه أن يضع نواميس خاصة بخوارق العادات غاية ما في الأمر أننا لا نعرفها، ولكنا نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل من عنده على أننا بعد الاعتقاد بأن صانع الكون قادر مختار يسهل علينا العلم بأنه لا يمتنع عليه أن يحدث الحادث على أي هيئة وتابعًا لأى سبب إذا سبق في علمه أنه يحدثه كذلك(٦٢) .

ويوضح مذهبه أيضا في إمكانية خوارق الأنبياء وكون الاعتقاد بها لا ينافي الاعتقاد بالقوانين الطبيعية المطردة ما جاء عنه في (تفسير المنار) من أن الخوارق الجائزة عقلًا، أي التي ليس فيها اجتماع النقيضين، ولا ارتفاعهما لا مانع من وقوعها بقدرة الله في يد نبي من الأنبياء، ثم يؤكد على أنه يجب أن نؤمن بها على ظاهرها، ثم إنه يجب ألا يمنعنا هذا الإيمان من الاهتداء بسنن الله في الخلق واعتقاد أنها لا تتبدل ولا تتحول (٦٣).

وعند رشيد رضا (ت1935م) أن العقل لا يمنع إلا وقوع المحال، وعلى ذلك لايمكن أن يُؤيّد نبي بما هو مستحيل عقلا؛ وعلى ذلك فما وقع لا يكون مستحيلا، ولذلك سمّى المتكلمون المعجزات خوارق العادات، ثم أوضح خلاف المتكلمين حول كيف تحدث خوارق العادات فيذكر أن منهم من يعتقد أن المعجزة لها أسباب خفية روحية، ولكن المشهور عندهم أن الله يخلقها بغير سبب لتدل على أن السنن والنواميس لا تحكُم على واضعها، وإنما هو الحاكم المتصرف بها، وإنما كان

(٦٢) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص٨١، ٨٢
(٦٣) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج١،ص ٢٦١

هذا هو المشهور؛ لأنه الظاهر وإلا فمن ذا الذي يستطيع أن ينفي ذلك النفي المطلق عن عالم الغيب؟[٦٤] .

ويتابع الشيخ مصطفى صبري (ت1954م) منهج (الغزالي:505هـ) ويؤكد كالأشاعرة أن الفاعل الحقيقي هو الله لا الأسباب المادية فليست النار هي الحارقة وإنما هو الله، والقوانين الطبيعية ليست ضرورية ضرورة منطقية حتى لا يمكن مخالفتها، ويستشهد بأقوال علماء يؤكدون أنه لا يوجد محال طبيعي تجريبي، وقدرة الله تتعلق بكل الممكنات ولا تتعلق بالمحال عقلا كالجمع بين النقيضين[٦٥].

أما فريد وجدي(ت1954م) فيستنكر موقف المنكرين للمعجزات ويحصرهم في أولئك الماديين الذين وقفوا بمعرفتهم مع النظرة المادية التي صارت قديمة الآن ولم يطّلعوا على مقررات العلم المعاصر الذي أقر بوجود أمور لا تسير وفق قوانين الطبيعة مثل التنويم المغناطيسي واستحضار الأرواح والتأثير في الأشياء عن بعد[٦٦]. ونلاحظ هنا ذلك القياس مع الفارق؛ فليست معجزات الأنبياء وخوارقهم من باب التنويم المغناطيسي أو استحضار الأرواح وغيرها فتلك أمور يتم تعلّمها وتلقينها بينما معجزات الأنبياء بخلاف ذلك.

وبذلك يتضح لنا أن خوارق الأنبياء من الجائز عقلًا أي ليست من المحال العقلي ليكون الإيمان بها تناقضًا مع العقل، وإنما تبدو لنا خارقة لقوانين الطبيعة التي نعرفها، وليست خارقة لقوانين العقل

ثالثًا: علاقة الخوارق بالنبوة

خوارق العادات وخاصة المعجزة كما أوضح الدكتور محمد عثمان الخشت هي أحد مرتكزات الدين التي يقوم عليها أي دين[٦٧]، ولذلك يرى الدكتور عبد الرحمن بدوي (ت2002م) أن مسألة

(٦٤) السابق،ص ٢٦١ ،٢٦٢
(٦٥) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ، ج٤،ص ٣١ ،٣٢ ،٣٣
(٦٦) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، المجلد الثالث٦٩٦، المجلد السادس ،ص ٢٠٢
(٦٧) محمد عثمان الخشت: الدين والميتافيزيقا عند هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص٢٥

المسائل في علم النبوات الإسلامي هي مسألة المعجزات[٦٨]، ومن أجل هذا شغلت مسألة المعجزات المركز الأول في البحوث الكلامية في النصف الأول في القرن الثالث الهجري[٦٩].

إن خرق العادة/ المعجزة حسب الرؤية التراثية لها مكانها المحوري في معرفة النبوة، فهي الدالة على النبوة، وهي برهان الأنبياء عند المتكلمين لذلك يرى القاضي عبد الجبار(ت415هـ) وجوب معرفة المعجزات وصفتها للمؤمن لكونها الدالة على النبوة[٧٠]، وهي عند ابن حزم(ت456هـ) برهان صدق النبوة لأنه لما سأل الناسُ الرسلَ عن صدق ما ادّعوه من كونهم رسل الله أتَوا بأعمال هي خِلاف لطبائع ما في العالم لا يمكن أن يقدر عليها مخلُوق، فصحَّ ضرُورة أنَّ اللَّه تعالى شهد لهم بما أظهر على أيديهم[٧١]، والمعجزة عند ابن سينا (ت427هـ) واجبة ليتميز النبي عن غيره حيث يقول:" فواجب إذًا أن يوجد نبي وواجب أن يكون إنسانًا وواجب أن تكون له خصوصية ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه أمرًا ليس يوجد لهم فيتميز به عنهم فتكون له المعجزات التي أخبرنا بها"[٧٢].

وعند محمد عبده(ت1905م) أن الأنبياء يستندون في دعواهم النبوةَ إلى المعجزة، فهي تأييد من الله للنبي فمتى ظهرت المعجزة وقارن ظهورها دعوى النبوة علم بالضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقًا لمن ظهرت على يده وإن كان هذا العلم قد يقارنه الإنكار مكابرة[٧٣]، ويرى الأستاذ الإمام أن على المؤمن أن يؤمن بأنَّ الرسل مؤيدون من العناية الإلهية بما لا يعهد للعقول ولا للاستطاعة البشرية وأن هذا الأمر الفائق المعروف للبشر هو المعجزة الدالة على صدق النبي في دعواه فمتى ادّعى الرسول النبوةَ واستدل عليها بالمعجزة وجب التصديق برسالته[٧٤]، فدعوى النبوة والرسالة إذن _عند محمد عبده_ تحتاج إلى خارق بخلاف الدعوة إلى توحيد الله فطريقها هو النظر العقلي وحده،

(٦٨) عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام،سينا للنشر،الطبعة الثانية،١٩٩٣م ، هامش ص١٢٤
(٦٩) السابق ، ١٤٠
(٧٠) القاضي عبدالجبار: المختصر في أصول الدين،ص ٢٦٣، والمغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٥ التنبوات والمعجزات، تحقيق محمود محمد قاسم ، ص١٤٧ومابعدها
(٧١) ابن حزم: المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار ، ج١ ص١١ومابعدها
(٧٢) ابن سينا: كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، نقحه وقدم له د/ماجد فخري، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت،ص ٣٣٩
(٧٣) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص ٨٢
(٧٤)محمد عبده: رسالة التوحيد، ص٨١، ٨٠

ولكنه يجعل القرآن وحده هو هذا الخارق الذي نعوّل عليه في إثبات نبوة رسولنا الكريم، لأنه هو الذي تواتر خبره، ولم ينقطع أثره[٧٥].

كذلك رشيد رضا (ت1935م) يرى أن الآيات أو المعجزات يؤيد اللهُ بها الرسلَ لأجل إذعان الناس لهم وقبول دعوتهم، فالقصد منها الحمل على قبول الدعوة والإذعان للرسالة وإقامة الحجة البالغة على المعاندين[٧٦].

ويبين (رشيد رضا) كيف أنّ البشر كانوا في حاجة إلى ظهور الخوارق والمعجزات قديمًا فقد كانت في أزمنة تحقّق فيها أن البشر كانوا في أشد الحاجة إليها، وثبت أنهم انتفعوا بها، ذلك لأنهم كانوا لم يرتقوا إلى معرفة العقائد ببراهينها، وقد كانوا ألاعيب في أيدي السحرة فأنقذهم الأنبياء بتأييد الله، وعلموهم أن أولئك السحرة قوم مبطلون وأن التصرف فيما وراء الأسباب خاص بالله تعالى وحده وأن تلك الأعمال التي يظهر بادي الرأي أنها عن اقتدار إنما هي { كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (طه: 69)، ولولا أن جاء كل نبي بمعجزة أو أكثر لما تسنَّى له جذب أولئك القوم الغلف القلوب، الغلاظ الرقاب، الضعاف الاستعداد"[٧٧].

وفي رأي الشيخ مصطفى صبرى (ت1954م) أن نظام العالم هو دليل على وجود الله، وتغيير نظام العالم بالمعجزة دليل على وجود الأنبياء[٧٨]، ولأهمية المعجزة للنبوة وارتباطها بها يؤكد أن إنكار المعجزة ملازم لإنكار النبوة[٧٩].

وفي رأيي أن المعجزة ليست ضرورية للنبوة، فالأنبياء عليهم السلام يعرفون بسيماهم وسمتهم وأخلاقهم وحسن سيرتهم، وقوة حجتهم وأصالة دعوتهم ونبل مقصدهم وصدق حديثهم وصحة شرعهم وزهدهم في الدنيا، كل ذلك كان يخلق في النفوس تصديقًا لهم وإذعانًا وعلى ذلك آمن الكثير من المؤمنين في كل عصر، وإننا إذا تصفحنا القرآن الكريم وجدنا أنبياء لم تُذكر لهم معجزات أي خوارق تحدوا بها لإثبات دعوتهم فأين هي معجزة رسول الله نوح التي تحدى بها قومه ولا يقال الطوفان معجزته وإنما كان عقاب قومه بعد طول كفرهم وعنادهم، وإنما كانت دعوته لهم تقوم على الإقناع العقلي وبيان قدرة الله وعظمته كما هو واضح في سورة نوح، ولذلك يرى (ابن رشد) "أن المعجز في

(٧٥) محمد عبده:الأعمال الكاملة: الجزء الثالث، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م،ص ٢٩٨
(٧٦) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الرابع، ص ٣٧١
(٧٧)محمد رشيد رضا: مجلة المنار،المجلد السادس، ص ١٦-١٧
(٧٨) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين،ج٤،ص ٣٠
(٧٩) السابق، ص ٩

العلم والعمل هو الدلالة القطعية على صفة النبوة وأما المعجز في غير ذلك من الأفعال فشاهد لها ومقوّ"[٨٠]، وكذلك يُنسب إلى المعتزلي ثمامة بن أشرس (ت255هـ) أنه قال: إن النبي لا يحتاج في الحجة على نبوته إلى أكثر من سلامة شرعه[٨١]، أما أبو حامد الغزالي (ت505هـ) فيقول" إذا فهمتَ معنى النبوة فأكثرتَ النظر في القرآن والأخبار، يصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة، وأعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب، فمن هذا الطريق اطلب اليقين بالنبوة، لا من قلب العصا ثعباناً، وشق القمر، فإن ذلك إذا نظرت إليه وحده، ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر، ربما ظننت أنه سحر وتخييل"[٨٢].

وقد ذكر الإيجي في مواقفه أن الجاحظ والغزالي ارتضيا المسلك الذي يُستدل فيه على نبوة رسولنا بأحواله قبل البعثة وبعدها وأخلاقه [٨٣].

وعلى ذلك فلم تكن المعجزات _وخاصة الحسية_ هي السبب في إيمان من آمن لذلك يرى حسن حنفي (ت2021) أن الذين صدّقوا بالأنبياء عن طريق المعجزات أقل من الذين صدقوا بهم عقلًا ومصلحة وتشريعًا[٨٤]، ولا حاجة لصدق النبي إلا اتفاق رسالته مع العقل وقد كان العقلاء معجبين بشخصية النبي وشريعته دونما الحاجة للمعجزات[٨٥]. ولذلك يرى (حسن حنفي) أن المعجزات هي أضعف موضوعات علم الكلام وأبعدها عن العقل وأنه يجب إدخالها في العقليات بالتدريج[٨٦].

(٨٠) ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص ٢١٧
(٨١) عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق،تحقيق محمد عثمان الخشت،مكتبة ابن سينا،ص ١٤٧
(٨٢) أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تقديم وتحقيق محمود بيجو،الطبعة الثانية، الناشر دار التقوى، ودار الفتح، ص ٧٤-٧٥
(٨٣) عضد الدين الإيجي: المواقف في علم الكلام، ص 356
(٨٤) حسن حنفي:من العقيدة إلى الثورة، ج٤، ٧٢
(٨٥) السابق ، ١٦٥
(٨٦) السابق، ١٦٥

المبحث الثاني:

موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق الأنبياء السابقين

من المعلوم بشكل قطعي من خلال النص القرآني أن الرسل والأنبياء السابقين _عليهم السلام_ كانت لهم خوارق عديدة مثل نار إبراهيم وعصا موسى وفلق البحر له وإحياء الموتى لعيسى وحوت يونس وناقة صالح، وغيرها من الخوارق التي ذُكرت في القرآن الكريم، وهذه الخوارق كانت في غالب الأمر خوارق كونية أو حسية تخرق القوانين الكونية والطبيعية المعروفة بشكل واضح، وربما يوضح لنا السبب في ذلك قول الشيخ محمد أبو زهرة (ت1974هـ) في كتابة (صفوة التفاسير) وهو يفسر الآيات من سورة النمل التي تتحدث عن قصة سليمان عليه السلام وإحضاره عرش بلقيس"وفي الحق أن سلطان سليمان قد قام كله على خوارق للعادات، وكان الزمن زمن المادة والأسباب، والمسببات"[٨٧] وأوضح الأمر بيانًا عند تفسيره لسورة مريم حين قال:"هذا عصر كثرت فيه خوارق العادات، لأنها كانت تصحيحًا للعقول وإزالة لفكرة خاطئة وقعت فيها الفلسفة التي كانت سائدة في هذا العصر، وهي نظام الأسباب العادية، وترتيب مسبباتها عليها، وأنه هو النظام المطرد المستقر الذي لا يمكن تغييره..، حتى زعموا أن اللَّه خُلقت عنه الأشياء، منفعلة بالعِلِّية، وأنه ليس باختيار من اللَّه تعالى وإرادة، فكل ما في الوجود، جاء منفعلًا عن علة وهو علَّة لغيره، حتى يتوالى كله بنظام العِلِّية، وكان لَا بد لتصحيح هذه الفلسفة ولبيان بطلانها أن تكون أشياء بغير أسبابها التي استقرت أفهامهم على أنها أسباب طبيعية لها"[٨٨]

ويتمثل موقف المفكرين المحدثين تجاه هذه الخوارق في تقديم

١- التعليل والتبرير لهذه المعجزات، ٢-تأويل هذه المعجزات.

أولًا : تعليل وتبرير خوارق الأنبياء السابقين

(٨٧) محمد أبو زهرة:زهرة التفاسير: دار الفكر العربي، ج١٠،،ص ٤٥٩
(٨٨) السابق، ج٩،،ص ٦٠٧

قدم مفكرو الإسلام تعليلات وتبريرات لحدوث هذه الخوارق الحسية والتي كانت تدهش الناظرين في العهود القديمة السابقة على الإسلام:

١ – ضعف العقول وقلة العلم

حيث علّلوا ذلك بضعف عقول الأقوام السابقة وعدم استنارة عقولهم بالعلم فجاءت الخوارق الحسية على حسب استعدادهم كما ذكر (محمد عبده)[٨٩]، حيث يقول: "جاءت الأديان والناس من فهم مصالحهم العامة بل والخاصة فى طور أشبه بطور الطفولية للناشىء الحديث العهد بالوجود لا يألف منه إلا ما وقع تحت حسه .. فلم يكن من حكمة تلك الأديان أن تخاطب الناس بما يلطف فى الوجدان أو يرقى إليه بسلم البرهان .. وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم وتنفعل به مشاعرهم"[٩٠]

٢ – غلظ الشعور

وزعم محمد فريد وجدي (ت1954م) أن القدماء كانوا غلاظ الشعور، فلما كان العصر الذي أرسل فيه الرسول كانت القلوب قد رقت والعقول قد ارتقت والشعور تلطف فلم يرسل رسوله بالمعجزات الخارقة لنظام الطبيعة فجعل معجزاته الحكمة وفصل الخطاب وإحقاق الحق وازهاق الباطل والسيرة الصالحة[٩١].

٣ – العجز عن النظر العقلي الخالص

بينما زعم نديم الجسر (ت1980م) أن البشر في العهود القديمة كانوا عاجزين عن النظر العقلي الخالص فاقتضت الحكمة عند دعوتهم للإيمان أن يُخاطبوا بدليل المعجزة ولكن لما ترقّت الإنسانية وتقدم العلم قضت حكمة الله أن يخاطبوا بالأدلة العقلية القاطعة وهذا ما سلكه الوحي في القرآن واعتمده أكثر من المعجزات[٩٢].

٤ – غلبة التصور المادي في العصور القديمة

(٨٩) محمد عبده:الأعمال الكاملة: الجزء الثالث، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م،ص ٢٩٨

(٩٠) محمد عبده: رسالة التوحيد ،ص ١٤٧ ،١٤٨

(٩١) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، المجلد السادس ،ص ٢٠١

(٩٢) الشيخ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، توزيع دار العربية، الطبعة الثالثة١٣٨٩- ١٩٦٩، ص١٨٠

يرى محمد حسين هيكل (ت1956م) أنّ هذه المعجزات كانت مناسبة للعصور القديمة التي غلب فيها التصور المادي فكان الأنبياء يعتمدون على هذه المعجزات في دعوتهم ولكن تيقظ العقل بفضل الفلسفة اليونانية التي تشبعت بعلوم الفراعنة، وتنبه الناس إلى أن الخوارق لا تنهض دليلا على شيء فجاء الإسلام الذي ركّز على الخطاب العقلي بجانب الروح والوجدان(٩٣) .

وفي رأيي إن ذلك التعليل وهذا التفسير غير صحيح فالزعم بأن القدماء كانوا ضعاف العقول وقليلي العلم أو غلاظ الشعور مما جعل معجزات أنبيائهم حسية لا عقلية هذا في رأيي كلام خاطئ، فالقدماء ربما كانوا أكمل منّا عقلًا وأكثر منّا علمًا، وآثارهم الفكرية والعلمية والمادية دالّة على ذلك، والقرآن شاهد على ذلك كما في قوله تعالى :"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (غافر:82 ،83) وكذلك قوله تعالى "وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ"(الأحقاف 26)، فهل كان المصريون القدماء –الذين أظهر بينهم موسى عليه السلام معجزاته– ضعاف العقول قليلي العلم، وهم باعتراف الجميع بلغوا أعلى سلم الحضارة ولم يصل إلى مستواهم أحد حتى الآن(٩٤).

وإني لأعجب من تجاهل المتكلمين القدماء والمفكرين في العصر الحديث للتوارة والإنجيل والزبور، أفليست هذه معجزات عقلية وعلمية كانت لأنبياء سابقين في العصور القديمة؟ وهل خلا كل منها من الإعجاز العقلي والعلمي والتشريعي، لماذا قصُر متكلمونا ومفكرونا المعجزات الحسية على الأنبياء السابقين ثم أغفلوا الحديث عن معجزاتهم العقلية والعلمية وهي واضحة في القرآن الكريم، فالله تعالى يقول : "وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وأَنْزَلَ الفُرْقَان"(آل عمران ٣،4) وقال عن التوراة:" إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُور"(المائدة ٤٤) وقال عن الإنجيل:" وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى

(٩٣) محمد حسين هيكل : حياة محمد : دار المعارف ، الطبعة الرابعة عشرة، ص ٥٦٨، ٥٦٩
(٩٤)ول ديورانت : قصة الحضارة ، الشرق الأدنى، الجزء الثاني من المجلد الأول (٢)، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت ـ لبنان ،ص١٨٥ ،١٨٦

وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِين"(المائدة ٤٦) فالتوراة والإنجيل مثل القرآن جاءا هداية للناس إذ هما من عند الله سبحانه، فكيف لا يحتويان معجزات عقلية وعلمية وتشريعية، ألسيت التوراة والإنجيل كلام الله! فهل يخلو كلام الله سبحانه من كل أنواع الإعجاز، كما أنه لا يمكن الشك في أن الأنبياء والرسل قد كانت لهم معجزات عقلية ولا يمكن التصديق بأن الله جعل لهم نوعًا واحدًا من المعجزات الحسية فقط، بل إن هناك من الأنبياء الذين لم يذكر معهم معجزة حسية وهذا يعني بلا شك أن معجزاتهم في الأغلب كانت عقلية وغير حسية مثل هود وشعيب وزكريا ويحيى وهود عليهم السلام.

إذن فليست المعجزات الحسية فقط هي ما اتكأ عليه الأنبياء والرسل في دعوتهم، وقلّما استجاب الأنبياء مطالب أقوامهم لعمل مثل هذه المعجزات، وقد جاء في الإنجيل ما يوضح أن المسيح كان لا يتشجع للمعجزات"فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَابْتَدَأُوا يُحَاوِرُونَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يُجَرِّبُوهُ فَتَنَهَّدَ بِرُوحِهِ وَقَالَ: لِمَاذَا يَطْلُبُ هذَا الْجِيلُ آيَةً؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَنْ يُعْطَى هذَا الْجِيلُ آيَةً"(إنجيل مرقس٨/ ١١،١٢).

وهذا كان شأن النبي صلى الله عليه وسلم والذي لم يتفرد بذلك كما زعم المتكلمون والمفكرون في العصر الحديث، فكثيرًا ما طالبت قريش النبي بالمعجزات الحسية _كما جاء في سورة الإسراء الآيات من٩١ حتى٩٣_ فكيف يصح قول من قال إن عصر النبي ترقى عقليًا وتخلص الناس فيه من الوهم والخيال وغلب عليهم العقل فلماذا إذن كثر طلبهم للمعجزات الحسية؟!، لم يكن انتهاء عصر المعجزات كما يزعم البعض سببه ترقي العقل البشري ولكن كان سببه ما ذكره الله في كتابه:" وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا" (الإسراء:٥٩) فالمعجزات لم يؤمن بها كثير من الناس بل كذّبوا وازدادوا عنادًا وصارت لا تَحدث إلا تخويفًا للناس.

إن كلام المفكرين عن تطور العقل البشري ومروره بأطوار كما أشاع (محمد عبده) وتبعه الكثيرون في ذلك هو تأثّر نوعًا ما بمقولة أوجست كونت(ت1857م) في المراحل الثلاثة للبشرية: مرحلة الخرافة، ومرحلة الميتافيزيقا، والمرحلة الوضعية؛ حيث يقول محمد عبده:" فانتهى بذلك زمن

المعجزات ، ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد ، فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له إلى الإيمان وتقويم ما يعرض للفطرة من الميل عن الاعتدال في الفكر والأخلاق والأعمال، كما كان في سن الطفولية (النوعية) بل أرشده – تعالى – بالوحي الأخير (القرآن) إلى استعمال عقله في تحصيل الإيمان بالله وبالوحي، ثم جعل له كل إرشادات الوحي مبينة معللة مدللة"[٩٥].

وفي سياق الرد على الغربيين المسيحيين الذين زعموا تناقض الإسلام والعلم، راح رجال الفكر الإسلامي يبرزون مدى توافق الإسلام مع العلم والعقل_كما رسم منهجه الغربيون_ وفي الوقت نفسه ردوا على الدين المسيحي تلك التهم وجعلوه مبنيًا على الخوارق فقط، فنرى الإمام (محمد عبده) وفي سياق رده على (فرح أنطون:ت1922م) يقول :"أول أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عماد له هو خوارق العادات، تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه إلا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه؛ ثم إنه جعل ذلك دليلاً على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لأصحابه ذلك كما تراه في الإصحاح العاشر من إنجيل مَتَّى وغيره، وإذا تتبعت جميع ما قال الأولون من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات، ولا يخفى أن خارق العادة هو الأمر الذي يصدر مخالفًا لشرائع الكون ونواميسه، فإذا ساغ أن يكون ذلك لكل من علا كعبه في الدين؛ لم يبقَ عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص. زاد الإنجيل على هذا أن الإيمان ولو كان مثل حبة خردل كافٍ في خرق نواميس الكون كما قال في الإصحاح السابع عشر من متى: (فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك، فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم) [٩٦].

ألا يمكن لأحدهم أن يقول له إن التراث الإسلامي مليء بالخوارق التي فاقت كل ما سبق وإن خرق العادة عند جمهور المتكلمين هو دليل نبوة رسولنا الكريم.

(٩٥) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج١،ص ٢٦١
(٩٦) محمد عبده: الأعمال الكاملة،ج٣، ص ٢٧٧

ثانيًا : تأويل خوارق الأنبياء السابقين

في الحقيقة إن تأويل الخوارق المنسوبة للأنبياء ظهر قديمًا بين المسلمين، وقد نسب الغزالي إلى الفلاسفة تأويل كل المعجزات التي وردت في القرآن الكريم وذلك في رأيه جاء نتيجة تمسكهم بفكرة السببية[٩٧]، وذكر أحمد أمين (ت1954م) أنه قد ظهر قديمًا من يفسر القرآن بما يتفق مع العقل، فكل ما ورد في القرآن مما قد يخالف العقل أوّلوه، حتى ذهبوا في ذلك مذاهب غريبة، وفسّروا خروج ناقة صالح بالحجة الدامغة، وقالوا في معجزة إبراهيم إنه طلا جسمه ببعض الأدوية التي يبطل معها عمل النار، وقالوا في أصحاب الفيل الذين أهلكهم الله بحجارة من سجيل إنه أصابهم الوباء من الماء والهواء، فحصبوا، وجدروا وهلكوا، وقالوا في هدهد سليمان إنه رجل، وفي النمل أنهم قوم ضعاف خافوا من عسكر سليمان، والجن والشياطين الذين سُخروا لسليمان أنهم عتاة الناس وأشداؤهم، وحذَّاقهم، وعرفاؤهم بالأمور الغامضة، وكذلك في جميع معجزات الأنبياء، ولم يقروا لمحمد صلى الله عليه وسلم إلا بمعجزة القرآن، وفي رأيه أن ما دعاهم لذلك التأويل هو مبالغات القصاص وبعض المفسرين الذين ولعوا بالغرائب، والخرافات كالثعلبي والخازن[٩٨] .

ثم ظهر هذا التوجه وشاع عند كثير من مفكري الإسلام في العصر الحديث من تأويل خوارق الأنبياء الكونية والحسية التي وردت في القرآن الكريم، وذلك كان نتيجة تأثرهم الواضح بالفكر الغربي الحديث الذي لا يقبل أي حديث عن خرق القوانين الطبيعية، وعليه اجتهد كثير من مفكري الإسلام في تقديم تأويلات لهذه الخوارق ومحاولة إظهار أن تلك الخوارق جاءت موافقة لقوانين الطبيعة وأنها لم تكن خرقًا للنظام الطبيعي الحتمي، وهذا هو الرأي الذي أشاعه (إسبينوزا:ت1677م) في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) حيث يقول : "لا شك في أن الكتب المقدسة قد روت كثيرًا من الوقائع التي يقال عنها معجزات ويمكن دون عناء تعيين علّتها بالمبادئ المعروفة للأشياء الطبيعية"[٩٩]، ويرى أن غير ذلك هو فهم العامة الذين يرون أن المعجزات أعمال الله الخارقة للطبيعة، فعنده أن أفعال الله هي نفسها أعمال الطبيعة ولا فرق[١٠٠].

كذلك كان جان جاك رسو (ت1778م) من المنكرين لكون المعجزات خارقة أو معطلة للنظام الطبيعي لأننا إن عرّفنا المعجزة بأنها خرق لقوانين الطبيعة، فلن نستطيع أبداً أن نعرف هل

(٩٧) أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر،الطبعة السادسة،ص ٢٣٦
(٩٨) أحمد أمين: ظهر الإسلام،موسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،ص ٢٩٨
(٩٩) إسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م،دار التنوير، بيروت،ص ٢١٦
(١٠٠) السابق، ص ٢١٥

الشيء معجزة أم غير معجزة، لأننا لا نعرف كل قوانين الطبيعة، وكل يوم نشهد معجزة جديدة يحققها العلم، لا مخالفاً بذلك قوانين الطبيعة، بل بفضل معرفته بها معرفة أعظم، وإن كان يشوع أوقف الشمس، فأي واضع للتقاويم يستطيع الوعد بمثل هذه النتيجة إذا حسب كسوف الشمس، وكما أن الأوربيين الذين يجرون عجائب كهذه بين الهمج يعدهم هؤلاء آلهة، فكذلك معجزات الماضي–حتى معجزات المسيح–ربما كانت نتائج طبيعية فسرّتها الجماهير خطأ بأنها تعطيلات إلهية للقانون الطبيعي، ولعل لعازر الذي أقامه المسيح من بين الأموات لم يكن في حقيقة الأمر ميتًا(١٠١).

وربما كان (محمد عبده) وتلميذه (رشيد رضا) من أبرز المتشجعين لتأويل خوارق الأنبياء وتنزيلها وفق قوانين الطبيعة، حيث يُنسب للأستاذ الإمام كثير من التأويلات المشهورة لمعجزات الأنبياء كما سنرى الآن، والشيخ (رشيد رضا) يؤكد أن كل الخوارق تجري وفق السنن الكونية وإن لم يعرف سببها وعلتها، فيقول: مَن رأى بعينه خارقة للعادة أو نُقلت إليه بطريقة التواتر الصحيح وعرف أنها لم تكن خداعًا، وعلم أن من ظهرت على يديه ليس من أهل التلبيس والشعوذة، ولا من طلاب المال والجاه، وصعب عليه أن يحملها على وجه من وجوه التأويل فإن له أن يقيسها على ما عرف تأويله بأن يقول: إن كثيرًا من خوارق العادات قد كان يظن أنها خارجة عن سنن الكون ثم ظهر أنها لم تكن شاذة عن تلك السنن الإلهية، وهذا الذي أراه الآن هو مثل تلك في ذاك الزمان، فيجوز أن يظهر له مثل ما ظهر لها من السبب، وتزول الغرابة ويبطل العجب، وهذا الرأي هو الذي عليه جميع العقلاء والحكماء في هذا العصر وإنهم ليتوقعون ظهور علل جميع الغرائب التي حدثت في العالم حتى معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام(١٠٢).

ثم يوضح في الوقت نفسه أن هذا الفهم للمعجزة لا خوف منه على الدين، فإذا فرضنا أن العلم أظهر لما يُؤثَر من المعجزات عللاً روحانية وأسبابًا خفية فليس ذلك قدح في النبوة، وإنا يكون مظهرًا لحقيقة النبوة؛ كأن يتبين أن الأرواح العالية تتصل بالعالم الأعلى وتستمد منه قوة العلم والهداية وقوة الأعمال الغريبة، فإن لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدَّعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سننه الظاهرة والخفية، وما كانوا يدعون أن لهم سلطانًا في ملك الله تعالى وإنما كانوا يقولون: إنه واقع بإذنه، وقد

(١٠١)ول ديورانت : قصة الحضارة ، رسو والثورة، الجزء الأول من المجلد العاشر (٣٩)، ترجمة فؤاد أندراوس وعلي أدهم، دار الجيل، بيروت ـ لبنان ،ص٣٢٥

(١٠٢) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد السادس، ص ٥٨،٥٩

كان اعتمادهم في دعوتهم إلى الله على البرهان وكانوا لا يُعطون الآيات إلا بعد إلحاح، ولم تكن هي العمدة في الدعوة(١٠٣).

ومن ثَمَ يوضح أن ما يُتوقّع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يُحْتَج على صحته إلا بالعجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم، ولا سند متواتر في صحة كتابهم، وإنما البرهان عندهم تلك الحكايات التي ينقلونها في عجائب من يقدسونهم، وينقل الوثنيون عن كهنتهم أعظم منها(١٠٤).

وهكذا تبنّى كثير من مفكرينا في العصر الحديث تأويل خوارق الأنبياء بما يتوافق مع القوانين الطبيعية حتى لا يتعارض الدين وخاصة نصوصه المقدسة مع العلم الحديث الذي كان قائمًا على الحتمية، وهم يعتذرون بأن العقل الحديث ينفر من الخوارق التي تتناقض مع قوانين الطبيعة؛ ولذلك يرون أنه من الصالح أن تؤول النصوص التي ورد فيها ذكر الخوارق أو المعجزات بما يتوافق مع العلم وقوانين الطبيعة.

ونذكر فيما يلي بعض هذه التأويلات كأمثلة واضحة لهذا التيار الفكري:

١ – تأويل فلق البحر لموسى عليه السلام:

كان فلق البحر لموسى وقومه ليعبروا خلاله ثم اطباقه على فرعون وجيشه معونة ونصرة لموسى عليه السلام ومعه المؤمنين وقد تكرر ذكر هذه الخارقة في القرآن الكريم كثيرًا، ومنها قوله تعالى: :{وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} (البقرة 50)، وقوله تعالى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}(الشعراء٦٣)

ورغم تأويل ابن عاشور لبعض معجزات موسى عليه السلام كما سنرى فإنه لم يتعرض لهذه الخارقة بالإنكار أو التأويل بل عدها معجزة فقال" ظَهَرَتِ الْمُعْجِزَةُ إِذْ فَلَقَ اللَّهُ لَهُمُ الْبَحْرَ بِبَاهِرِ قُدْرَتِهِ فَأَمَرَ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَهُ بِعَصَاهُ فَانْفَلَقَ وَصَارَ فِيهِ طَرِيقٌ يَبَسٌ مَرَّتْ عَلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَكَانَ جُنْدُ فِرْعَوْنَ قَدْ لَحِقَ بِهِمْ وَرَامَ اقْتِحَامَ الْبَحْرِ وَرَاءَهُمْ فَانْطَبَقَ الْبَحْرُ عَلَيْهِمْ فَغَرِقُوا. (١٠٥)."

(١٠٣) السابق، ص ٥٩
(١٠٤) السابق، المجلد السادس، ص ٦٠
(١٠٥) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤،ج١،ص ٤٩٦

ذكر (رشيد رضا) أن الأستاذ الإمام أورد أثناء تفسيره لقوله تعالى :" وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" (البقرة 50)، أن هناك جماعة لا يحبون المعجزات أوّلوا انفلاق البحر لموسى بأنه المدّ فقال:" وزعم الذين لا يحبون المعجزات من المتهورين أن عبور بني إسرائيل البحر كان في إبان الجزر، فإن في البحر الأحمر رقارق إذا كان الجزر الذي عهد هناك شديدا يتيسر للإنسان أن يعبر ماشيا، ولما أتبعهم فرعون بجنوده ورآهم قد عبروا البحر سار على أثرهم، وكان المد تفيض ثوائبه (وهي المياه التي تجيء عقيب الجزر) فلما نجا بنو إسرائيل، كان المد قد طغى وعلا حتى أغرق المصريين"[١٠٦]. وقد نقل هذا التأويل أيضًا أحمد مصطفى المراغي في تفسيره، ثم قال " ونعم الله بغير طريق المعجزات أتمّ وأكثر، فليس بلازم أن نجعل الامتنان في كونه معجزة لموسى عليه السلام ومثل هذا التأويل ليس بضائر إذا كان أربابه يثبتون صدور خوارق العادات على يد الأنبياء تأييدًا من الله لهم"[١٠٧]ولكن هذا التأويل لا يتماشى مع الآيات القرآنية التي فيها أن الله أمر موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه مما جعله ينفلق إلى ما يشبه الجبلين الكبيرين قال تعالى {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} (الشعراء:٦٣)

٢ – تأويل إحياء من مات مائة عام:

وهي التي وردت في قوله تعالى{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَه}(البقرة 259) فقد زعم (محمد عبده) أن الرجل الصالح نام ولم يمت مثل أهل الكهف أي أن الله أيقظه من نومه بعد أن نام مائة عام[١٠٨].

وهذا تأويل غير مقبول فالله ذكر في شأن هذا العبد أنه مات مائة عام ثم إن الله بعثه قال تعالى:{ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ} (البقرة:٢٥٩) بينما لم يذكر عن أهل الكهف أنهم ماتوا ليصح القياس، قال ابن عاشور:" وقوله ثُمَّ بَعَثَهُ أَي أحيَاهُ وهي حياةً خاصَّةً رُدَّتْ بها رُوحُهُ إلى جسده لِأَنَّ جَسَدَهُ لَمْ يَبْلَ كسائر الأنبياء، وهذا بَعثٌ خارِقٌ للعادة وهو غير بعث الحشر. [١٠٩]"

(١٠٦) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج١،ص ٢٦٢
(١٠٧) أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م،ج١،ص ١١٦وما بعدها
(١٠٨) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،ج٣،ص ٤٢
(١٠٩) ابن عاشور: التحرير والتنوير ج٣،ص ٣٦

٣ – تأويل إحياء الطيور لإبراهيم عليه السلام:

وهي التي وردت في قوله تعالى"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (البقرة ٢٦٠)

حيث يختار (محمد عبده) تفسير (أبي مسلم الأصفهاني:ت322هـ)[١١٠] الذي يخالف الجمهور فيرى أن إبراهيم لم يذبح الطيور وإنما فرقها حية على الجبال ثم دعاها فجاءت إليه[١١١].

ولكن هل يصح هذا التأويل وهل يفي هذا مع المقصود الذي طلبه إبراهيم عليه السلام من ربّه وهو أن يرى إحياء الموتى ليطمئن قلبه؟

ونجد عند محمد فريدي وجدي ما يجعل هذه الخارقة أمرًا ممكنًا يمكن تكراره فيقول:"إن إشارة الكتاب إلى معجزة إبراهيم هذه تشير إلى أن في الإنسان قوى إلهية في إمكانها بتوفيق الله أن يبعث الحياة في الجمادات، وقد دلت الأبحاث في المغناطيس الحيواني في هذا العصر على ما يجعل هذه المعجزة معقولة علميًّا"[١١٢]. وهذا الكلام من فريد وجدي من محاولات جعل المعجزات والخوارق الخاصة بالأنبياء من الأمور التي يمكن تكرارها وتثبت بالتجارب العلمية وذلك سعيًا لجعلها مقبولة بين جماهير الناس وغير مستغربة.

٤– تأويل إحياء قتيل بني إسرائيل

ونجد ذلك التأويل واضحًا عند (محمد عبده) حيث أوّل معجزة إحياء قتيل بني إسرائيل الذي ورد ذكره في قوله تعالى"وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"(البقرة72–73) فذكر أن معنى إحيَاء الموتى في الآية هو حِفظ الدماء التي كانت عُرضة لأن تُسفك، بسبب الخلاف في قتل تلك النفس، أي يُحييها بمثل هذه الأحكام، وهذا الإحياء على حد قوله – تعالى – : (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) (المائدة: 32) وقوله : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) (البقرة: 179) فالإحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى في الآيتين، ويرى أنه كان من عادة بني إسرائيل أن من وُجد مقتولا قُرب

(١١٠) محمد بن بحر الأصفهاني معتزلي(٢٥٤ - ٣٢٢ هـ)، ولي أصفهان وبلاد فارس للمقتدر العباسي، من كتبه (جامع التأويل) في التفسير وهو مفقود وقد أورد الرازي كثيرًا من آرائه في تفسيره(مفاتيح الغيب)،انظر خير الدين الزركلي:الأعلام،دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م ،ج٦،،ص ٥٠

(١١١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار،ج٣،ص ٤٧

(١١٢) محمد فريد وجدي: المصحف المفسر، مطبعة العلوم بشارع الخليج،الطبعة الخامسة، ١٣٦٨هـ، ١٩٤٨م، ص٥٨

قرية ولم يُعرف قاتله أن يذبحوا بقرة فمن غسل يده في دمها وفعل ما رُسم له في الشريعة كان بريئًا ومن رفض كان مذنبًا[١١٣] ، والإمام بذلك يستبعد حدوث هذه المعجزة التي تبدو واضحة من خلال الآيات والتي ذكرها المفسرون القدماء، وقد رفض الشيخ محمود شلتوت (ت١٩٦٣) هذا التأويل البعيد والمتكلف ورأى أن الآيات لا تساعد عليه ولا تساعد عليه اللغة أو المعهود من كلام العرب وعليه فإن هذه معجزة حسية وقعت بالفعل وشاهدتها بنو إسرائيل ولكن قست قلوبهم[١١٤]

٥ – تأويل رفع الجبل فوق بني إسرائيل:

والتي وردت في قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة٦٣).

رغم أن الإمام (محمد عبده) لم يتعرض لتأويل هذه المعجزة وأقرّ بكونها آية كونية بمعنى أن الجبل انْتُزِعَ من الأرضِ وصار مُعلَّقًا فوقهم في الهواء إلا إن تلميذه (رشيد رضا) يرى أن الآيات الواردة لا تدل على ذلك صراحة وعلى ذلك قام بتقديم تأويل لهذه المعجزة؛ فالرفع الوارد في الآية من قبيل قوله تَعَالَى: (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) (الغاشية : 13) وقوله: (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) (الواقعة : 34) فَكُلٌّ من السُّرُر والفُرُش تكون مرفوعة وهي على الأرض،وعلى ذلك فالجبل حسب رأيه لم يعلق في الهواء وإنما حدث زلزال فظن بنو إسرائيل أن الجبل سيقع عليهم، وعلى ذلك يرى أن من ينكر ارتفاع الجبل في الهواء لا يكون مكذبًا للقرآن[١١٥].

ويقدّم محمد الطاهر بن عاشور (ت1973م) تأويلًا قويًّا لهذه المعجزة مستندًا إلى نصوص توراتية؛ فيرى أنه حينما تجلّى الله لموسى عليه السلام في الطور تجليًا خاصًا للجبل فتزعزع الجبل وتزلزل وأحاط به دخان وضباب ورعود وبرق كما ورد في صفة ذلك في الفصل التاسع عشر من سفر الخروج وفي الفصل الخامس من سفر التثنية فلعل الجبل من شدة الزلازل وما ظهر حوله من الأسحبة والدخان والرعود صار يلوح كأنه سحابةٌ، ..وليس في كتب بني إسرائيل ولا في الأحاديث الصحيحة ما يدل على أن الله قلع الطور من موضعه ورفعه فوقهم وإنما ورد ذلك في أخبار ضعاف فلذلك لم نعتمده في التفسير[١١٦].

(١١٣) السابق، ج١،ص ٢٩١
(١١٤) محمود شلتوت: تفسيرالقرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى، دار الشروق، الطبعة الثانية عشرة١٤٢٤، ٢٠٠٤،ص ٣٩ومابعدها
(١١٥) تفسير المنار،ج١،ص ٢٨٤
(١١٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير،ج١،ص ٥٤١

٦ – تأويل ولادة عيسى عليه السلام بدون أب:

وقد وردت هذه المعجزة في القرآن الكريم في عدة مواضع كما في قوله تعالى:"قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"(آل عمران٤٧).

يحاول (محمد عبده) عرض وجهين لتأويل هذه المعجزة الكبيرة بما يتقارب مع قوانين الطبيعة المعروفة، (الوجه الأول): إن مريم لما بُشرّت بأن الله – تعالى – سيهب لها ولدًا بمحض قدرته، انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد انفعالًا فعل في الرحم فعل التلقيح، كما يفعل الاعتقاد القوي في مزاج السليم فيمرض أو يموت، وفي مزاج المريض فيبرأ، وكان نفخ الروح متمما لهذا التأثير.

(الوجه الثاني) : يبنيه على مقدمة يؤكد فيها على أَنَّ المخلوقات قسمان: أجسام كثيفة وأرواح لطيفة، وأن اللطيف هو الذي يحدث في الكثيف الحي ما نراه فيه من النمو والحركة والتوالد، وهذه الأرواح اللطيفة مثل الهواء والكهرباء وغيرها من قوى الطبيعة والتي عُبِّرَ عنا في الشرع بالملائكة، وعلى هذا فإن اللهَ قد أرسل إلى مريم روحًا من هذه الأرواح والمقصود هنا قوة من قوى الطبيعة وليس شيئًا خارجًا عن الطبيعة حيث إن قوى الطبيعة هي نفسها الملائكة عند الإمام محمد عبده، وهذه الروح أو القوة الطبيعية أو الملك بلسان الشرع تمثلت بشرًا نفخ في مريم فأحدثت النفخة التلقيح في رحمها فحملت بالمسيح، ولكن الإمام لا يجزم بأن هذه النفخة حملت مادة أم لا[١١٧] وهنا كأنه يريد أن يقول إن ولادة المسيح جاءت بشكل طبيعي وليس فيه خرق للطبيعة، ولكن هذا التأويل لولادة المسيح بعيد جدًا عن أن يلقى قبولًا أو يورث قناعة، فهو غايةً في التعسف والتكلف الذي لا يمكن أن يساعد عليه النص أو تسعفة اللغة أو حتى يقبله العقل، ولست أدري ما ساق محمد عبده إلى ذلك التكلف في هذا التأويل البعيد إلا أن يكون أراد أن يثبت للمتسكين بالعلوم الحديثة عدم مجافاة القرآن للقوانين الطبيعية.

هل هذا التأويل لخوارق الأنبياء مقبول؟

هنالك ذلك التيار القوي الذي يرفض هذه التأويلات ويتمسك بما ورد من معجزات الأنبياء في القرآن الكريم ويرى ضرورة الإيمان بها لكونها دلائل النبوات، ويرى في هذا التأويل تعسفًا، وإفراطًا في

(١١٧) تفسير المنار،ج٣،ص ٢٤٥، ٢٥٥

متابعة الفكر الغربي، كما أن بعض هذه التأويلات لا تكون مقبولة ولا تأتي وفق قانون التأويل المتعارف عليه.

فمثلًا يرفض نديم الجسر (ت1980م) تأويل المعجزات لتتوافق مع العلم الحديث، وعلّة هذا الرفض أنه لا يمكن لبعض المعجزات أن يكون لها التأويل المقبول؛ فمثلا لا يمكن تأويل ولادة المسيح ولا كلامه في المهد ولا قلب العصا حية لموسى عليه السلام، ولذلك يرى أن تأويل المعجزات ليوافق النواميس الطبيعية محاولة فاشلة ومفسدة لمعنى المعجزة، فالأصل هو الإيمان بأن الله خالق النواميس وهو قادر على خرقها وهذا هو سر المعجزة، وخرق المعجزة ليس من المستحيل عقلا(١١٨) .

أما الشيخ مصطفى صبري (ت1954م) فيرى أن هؤلاء العصريين من علماء الدين والدنيا المتعمدين لإنكار المعجزات قد ذهبوا في تفسير القرآن وتقويم الأحاديث مذهبًا يكاد يكون ملعبًا، وذلك نتيجة خضوعهم التام للعلم المادي الحديث(١١٩).

لقد استنكر الشيخ مصطفى هذا التأويل للمعجزات وهاجم أصحابه بشدة، وعدّهم منكرين للمعجزات، ولذلك عدّ الإمامين محمد عبده وتلميذه رشيد رضا من المنكرين للمعجزات وغير المعترفين بوجود معجزات كونية للرسول(١٢٠).

ويقدم الشيخ محمد الخضر حسين (ت١٩٥٨م) ردًا على استدلالات هؤلاء المنكرين والمؤولين للمعجزات، فقد أورد استدلالين لهم وقدّم الرد عليهما:

إحداهما: قولهم إن الله تعالى وضع هذا الكون على سنن لا تتبدل، وربط أسبابه بمسبباته ربطاً لا يتغير، وربما استشهدوا على هذا بقوله تعالى: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} (الأحزاب :٦٢).

ويرد على هذا بقوله: إن الذي خلق الأسباب والمسببات، وعقد بينهما رابطة السببية والمسببية، هو الفعال لما يريد؛ فله أن ينزع من بعض الأسباب وجه سببيتها؛ وله أن يخلق سبباً آخر يخفى عن أعين الناس، ويظهر له مثل أثر السبب المعروف في العادة؛ كأن يخلق في العصا ما يكون سبباً لانقلابها ثعباناً.

(١١٨) نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، توزيع دار العربية، الطبعة الثالثة١٣٨٩- ١٩٦٩، ص ٢٢١

(١١٩) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين،ج٤،ص ٢٢ و٢٣

(١٢٠)السابق ،ج٤،ص ١٧٢

كما أن تخلف المسببات عن أسبابها الظاهرة، أو وجود المسببات مع فقدان أسبابها، هو في مرتبة الإمكان لا محالة، وإذا كان ممكناً في نفسه، وورد الخبر الصادق بوقوعه، أصبح الاعتقاد به ضربة لازب، ولم يكن لمنكره من الأدلة النظرية ولي ولا نصير.

وأما قوله تعالى: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}، فحق لا غبار عليه، لكن سنن الله منها ما عرفه الناس، ومنها ما لم يعرفوه، وإذا وقعت واقعة غريبة عند تحدي النبي لقومه، فهي جارية على سنة، ولكنها سنة خفية لا يعلمها البشر، ولا يستطيعون أن يأتوا بمثلها، ومن هنا كانت هذه الواقعة الغريبة علامة على أن هذا الداعي مبلغ عن الله.

والاستدلال الثاني: قولهم إن العلوم في هذا العصر كشفت عن أسرار أمور كانت تُظن من خوارق العادات، فلو بلغ العلم بصاحبه أن يأتي بأشياء هي من أمثال ما كان يعد خارقًا للعادة، لم يبق ذلك الذي صدر على وجه التحدي معجزة.

ويردّ الشيخ الخضر حسين بأن من معجزات الرسل – عليهم السلام – ما لم يصل إليه العلم، ولن يصل؛ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه، ونبع الماء الحقيقي من بين أصابع الإنسان، وإذا وجد من المعجزات التي جرت على أيدي الرسل ما يمكن الوصول إلى مثله من طريق الفن؛ كما يدعى من الإخبار عن بعض الأشياء الغائبة، وكما ظهر من قطع المسافة البعيدة في وقت قريب، فإن أمثال هذه الأشياء نجدها قد صدرت عن الرسول مضمومة إلى معجزة أخرى لا يصل إليها العلم، ثم إن الفرق بين ما وقع عند التحدي، وما وقع من طريق الفن: أن الأول وقع بإذن الله من غير أن يكون للرسول فيه عمل، أما الثاني، فإنما يقع بعد اتخاذ الوسائل الفنية، هذا هو الفرق بين ما كان معجزة، وما كان أثر حركة فنية، فما يذكره الله تعالى في كتابه الحكيم من هذا النوع من المعجزات إنما هو أمر واقع بإذنه من غير أن يكون للرسول فيه أثر[١٢١].

كذلك يرفض الشيخ محمود شلتوت (ت1963م) هذا النوع من التأويل للمعجزات الذي قام به (محمد عبده) وغيره، والذي لا يلتزم قانون التأويل، ثم يبين السبب وراء هذا التأويل للمعجزات، فهو

(١٢١) محمد الخضر حسين: موسوعة الأعمال الكاملة ، المجلد الرابع(محمد رسول الله وخاتم النبيين)، اعتنى به المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، الطبعة الأولى١٤٣١هـ،٢٠١٠م، ص١٩٦ -١٩٧

يرى أن هذا التأويل جاء ردًا على المهاجمين للقرآن، ومن ذلك تأويل إحياء الموتى المنسوب لعيسى بالإحياء الروحي، والنمل في قصة سليمان على أنه قبيلة ضعيفة وغيرها(١٢٢).

ويرى الشيخ الشعراوي (ت1998م) أن المعجزات التي وردت في القرآن ونسبت للرسل حقائق لاشك فيها لأن قدرة الله لا تقارن بها قدرة البشر(١٢٣).

(١٢٢) محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشر الأولى، دار الشروق،ط ١٢، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ص٤٠

(١٢٣) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، الناشر أخبار اليوم،ص ١٢٨

المبحث الثالث:

موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق النبي الخاتم

(محمد صلى الله عليه وسلم)

نعرض الآن لموقف المفكرين المسلمين من الخوارق التي حدثت للنبي الخاتم، فنعرض لمعجزته الكبرى القرآن الكريم ونبيّن موقف المفكرين منها، ثم نحاول أن نعرف حقيقة موقفهم من الخوارق الكونية والحسية المنسوبة للنبي.

أولًا: معجزة القرآن الكريم

رأى علماء الإسلام أن القرآن الكريم معجزة لا تدانيها معجزة وهو بذلك أفضل من كل المعجزات وخاصة المعجزات الحسية، فيرى (الباقلاني) أن الإعجاز في نظم القرآن أبلغ في بابه وأعلى من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الميت وقلب العصا ثعبانًا وأمثالها وذلك لاعتقاد كثير من الناس بأن تلك الآيات قد تمت بحيل ومخاريق، أما بلاغة القرآن فلا يمكن أن تعرض في إعجازها شبهة(١٢٤).

وهنا يتفق المفكرون المحدثون في القول بأن القرآن هو المعجزة الكبرى للرسول والتي لم يستدل إلا بها، وكذلك قولهم بأنها معجزة عقلية تختلف عن بقية معجزات الأنبياء، فهي بذلك معجزة توافق العقل ولا تخالف قوانين الطبيعة كبقية المعجزات بل هي تستنهض العقل والفهم وتتماشي مع العلم، وهذا واضح في فكر (محمد عبده) من أن القرآن الكريم معجزة عقلية توافق الفهم بخلاف معجزات السابقين والتي جاءت مناسبة لأحوالهم؛ فمعجزة القرآن عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها وأطلقت له حق النظر في أحنائها، فهي معجزة أعجزت كل طوق أن يأتي بمثلها، ولكنها دعت كل قدرة أن تتناول ما تشاء منها، أما معجزة موت حي بلا سبب معروف للموت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أو شفاء علة من بدن فهي مما ينقطع عنه العقل، ويجمد لديه الفهم، وإنما

(١٢٤) الباقلاني: البيان،ص ٢٦

يأتي بها الله على يد رسله لإسكات أقوام غلبهم الوهم، ولم تضئ عقولهم بنور العلم، وهكذا يقيم الله بقدرته من الآيات للأمم على حسب الاستعدادات(١٢٥).

ويتبنى (محمد رشيد رضا) هذه الفكرة ويجادل عنها حتى إنه ينقل عن أحد فلاسفة فرنسا قوله " إن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – لم يكن محتاجًا إلى عمل العجائب لمثل ما كان يحتاجها الأنبياء من جذب النفوس إلى الإيمان به فإنه كان يقرأ القرآن باسم الله في حال وَجْد ووَلَه روحاني ينتقل تأثيره من نفسه إلى نفوس من يسمعه فيكون ذلك جاذبًا لهم إلى الإيمان بجاذبَيْ الإذعان والوجدان إيمانًا يملك على النفس أمرها حتى لا يمكنها الانسلال منه، وإن قاست في سبيله من الأهوال ما يشيب النواصي، ويدك الصَّيَاصِي، فأين هذا الإيمان من إيمان قوم رأوا أعجوبة لا يدركون سرها فخضعوا لصاحبها وسلموا بما يقول، وإن لم تدرك فائدته العقول، حتى إذا ما غاب عنهم برهة من الزمان عبدوا ما يصوغون من الأوثان"(١٢٦).

فالمعجزات الحسية في رأي الإمام (محمد عبده) وتلميذه (رشيد رضا) تجمّدُ وتعيقُ الفهم وتضر العقل الإنساني، وهذا **في رأيي** غير مقبول أن يُقال على معجزات أيّد الله بها أصفياءه من الأنبياء والرسل، فإذا أردنا أن نبيّن تفرّد القرآن الكريم في إعجازه فلا يصحّ أن نستخف بمعجزات الله الأخرى فكلها آيات لله داعية للهداية والرشاد، كما أنها مذكورة في القرآن نفسه الذي نقول إنه لا يناقض العقل ويحث على التفكر والفهم والعلم، فكيف نقول إن معجزات الأنبياء الكونية والحسية تناقض العقل وتعيق الفهم رغم أنها وردت في القرآن كآيات للأنبياء من قِبل الله سبحانه!

الفكرة المسيطرة إذن عند مفكري المسلمين في العصر الحديث هي علو القرآن الكريم وسموه على بقية المعجزات، فالقرآن هو أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وإعجازه ليس مقصورًا على أسلوبه البديع ..، وعلى إخباره بالمغيبات المستقبلة..، بل فيما اشتمل عليه من العلوم والمعارف في تهذيب البشر وبيان مصالحهم في أمور معاشهم ومعادهم أعظم خارق لحجب العوائد، لا سيما بالنسبة لمن ظهر على يديه(١٢٧).

ويزيد الإمام (محمد متولي الشعراوي) في بيان تفرد المعجزة القرآنية عن بقية المعجزات فيبين أن القرآن له عطاء متجدد وهذا العطاء المتجدد هو استمرار لمعنى إعجاز القرآن، فالقرآن يعطي لكل

(١٢٥) محمد عبده:الأعمال الكاملة: الجزء الثالث، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م،ص ٢٩٨
(١٢٦) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد السادس، ص١٥،١٤
(١٢٧) السابق، المجلد الثاني، ص٤١٨

جيل بقدر طاقته ويعطي للجيل القادم شيئًا جديدًا لم يعطه للجيل الذي سبقه وفي هذا العصر وهو عصر العلم نجد أن القرآن ألمح إلى حقائق علمية لم تكتشف إلا في هذا العصر مما يدل على إعجاز القرآن وكونه من الله خالق الكون، ولكنه ينبه في الوقت ذاته على ضرورة عدم ربط القرآن بالنظريات العلمية الجديدة والتي لم تثبت صحتها بشكل يقيني(١٢٨).

وإذا تركنا مدرسة (محمد عبده) وذهبنا إلى بعض من يوجه الانتقادات اللاذعة لهذه المدرسة وخاصة في موقفها من المعجزات نلاحظ أنهم يرجعون الاعتبار للمعجزات الحسية ويدافعون عن كل المعجزات، ولا يجتهدون كثيرًا في إظهار تميّز القرآن وبيان أوجه الإعجاز المتعددة فيه، فنرى مثلًا الشيخ (مصطفى صبري) يوضح أن معجزة القرآن مثل كل المعجزات في أصل الإعجاز ولكن الفضل فيها راجع لاتّحاد المعجزة مع الوحي في القرآن حين كانت سائر المعجزات منفصلة عن الوحي الذي هو المقصود الأصلي من النبوة وكانت المعجزات نفسها أمورًا مقصودة لغيرها وهو تأييد الوحي بإثبات كونه من قبل الله(١٢٩).

ويأتي (حسن حنفي) برأي جديد _نوعًا_ وإن كان امتدادًا لمدرسة (محمد عبده) فيرى أن القرآن ليس من جنس المعجزات، ثم يسمِّي القرآنَ إعجازًا وليس معجزة لأنه يتوافق مع العقل والطبيعة بينما المعجزة تخالفهما، وعنده أن معجزة القرآن تتمثل في جانبه التشريعي (١٣٠).

ثانيًا: الخوارق المادية (الكونية والحسية) للنبي الخاتم

من المعروف أنه قد ورد في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ما قد عدّه المسلمون خوارق ومعجزات للنبي كونية وحسية للرسول الكريم؛ يقول أبو حامد الغزالي في إثبات نبوة نبينا _بعد استدلاله بالقرآن الكريم_" تثبت نبوته بجملة من الأفعال الخارقة للعادات التي ظهرت عليه، كانشقاق القمر، ونطق العجماء، وتفجر الماء من بين أصابعه، وتسبيح الحصى في كفه، وتكثير الطعام القليل، وغيره من خوارق العادات، وكل ذلك دليل على صدقه"(١٣١).

ويقول "الشيخ الشعراوي" "قد تعرّض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأشياء ومواقف رآها الصحابة، ونشأت له خوارق من الحق سبحانه وتعالى تؤيد صدقه، وشاهد تلك الخوارق بعض

(١٢٨) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن،ص ٨٤، وما بعدها، ص١٢٠
(١٢٩) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين،ج٤،ص ١٣٣
(١٣٠) حسن حنفي:من العقيدة إلى الثورة، ج٤، ٢٠٢،١٨٢
(١٣١) الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ص ١١٤

الصحابة ولا نقول عنها معجزات؛ لأن معجزة الإسلام إلى قيام الساعة هي القرآن، ولكن رسول الله لم تخل حياته من بعض المعجزات الكونية مثل التي حدثت لغيره من الرسل، وأرادها الحق لا للمسلمين عموماً ولكن شاهدها بعضهم كما شاهدها بعض الكفار... والذي عاش بعد رسول الله له أن يصدق تلك المعجزات أو لا يصدقها، ولكن على المؤمن الذي علم مقام ومكانة الرسول عند ربه، أن يصدق تلك الخوارق متى ثبت ذلك بطريق يقيني قطعي، ولذلك لا ضرورة لإقامة الجدل مع هؤلاء الذين ينكرون المعجزات الكونية ونقول لهم: ليس أحدكم مسئولا بهذه المعجزات، أنت مسئول بمعجزة القرآن فقط ، والخوارق التي وقعت إما أن تكون بغرض تثبيت رسول الله مصداقا لقوله الحق{ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ}(الفرقان32) إما أن تكون لتثبيت أصحاب رسول الله؛ فقد كانت الأهوال تمر عليهم وتزلزلهم..وكان لا بد أن ترسل السماء لهم أيات لتثبت أقدامهم في الإيمان. والخلاصة أن كل الخوارق الكونية التي حدثت لرسول الله ليس المقصود بها عامة المسلمين، ولكن المقصود بها من وقعت له أو وقعت أمامه، ونفض بذلك أي نزاع حول تلك الخوارق؛ لأن المعجزة الملزمة للجميع هي كتاب الله سبحانه وتعالى".[١٣٢]

فما هو موقف الفكر الإسلامي الحديث من هذه الخوارق والمعجزات التي هي خارقة لقوانين الطبيعة؟ انقسم المفكرون إلى ثلاثة اتجاهات، الاتجاه الأول: ينكر هذه المعجزات الكونية والحسية، الاتجاه الثاني: يؤول أغلب هذه المعجزات، الاتجاه الثالث: يعتقد بحدوث هذه المعجزات الحسية ما دام وردت بها النصوص، وفيما يلي نتعرف رأي كل فريق وأدلته.

الاتجاه الأول: إنكار الخوارق المادية للنبي (الكونية والحسية)

في الحقيقة يوجد لدينا في تراث المتكلمين منْ نُسب إليه إنكار الخوارق الكونية والحسية للنبي الخاتم، وينسب إليه أيضًا التهوين من إعجاز القرآن وهذا ما ينسب لأحد رجالات المعتزلة وهو(النظّام:ت221هـ) حيث نقل عنه الأشعري أنه قال " الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أنّ يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم"[١٣٣]، وقد زاد عبد القاهر البغدادي أن (النظّام) أنكر ما روى فى معجزات نبينا من انشقاق القمر وتسبيح الحصا فى يده ونبوع الماء من بين أصابعه[١٣٤]. ولكن في رأي

(١٣٢) محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي/الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ج٥ص ٩٨٨ وما بعدها
(١٣٣) أبوالحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين،تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ج١، الطبعة الأولى،١٣٦٩هـ،١٩٥٠مـ،مكتبة النهضة المصرية،ص٢٧١
(١٣٤) عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق،تحقيق محمد عثمان الخشت،مكتبة ابن سينا، ص١٢٠،١١٩

(عبدالرحمن بدوي) أن المعتزلة لم ينكروا المعجزات بشكل مطلق ولكنهم رفضوا استغلالها في إثبات النبوة، وأمّا (النظّام) فقد رفض المعجزات الخبرية لأنها في رأيه لا تتفق مع الإسلام(١٣٥).

وقد أكد القاضي عبد الجبار _وهو من كبار المعتزلة_ أن النبي قد ثبتت له معجزات كثيرة مثل إنطاق الله الذئب له، ومجيء الشجرة له، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى بين يديه إلى غير ذلك مما لا يحصى(١٣٦).

وقد ظهر اتجاه في العصر الحديث ينكر هذه الخوارق الحسية، وكان المفكر والأديب محمد حسين هيكل(ت1956م) من أشهر من تمسك بهذا الاتجاه وظهر ذلك في كتابه الشهير (حياة محمد) والذي أثار عليه ضجة كبيرة، حيث يقول: " ولم يرد في كتاب الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة، على اختلاف عصورهم، برسالة محمد إلا القرآن الكريم، هذا مع أنه ذكر المعجزات التي جرت بإذن الله على أيدي منْ سبق محمدًا من الرسل،.. وما ورد في الكتاب عن النّبي العربيّ لا يخالف سنّة الكون في شيء"(١٣٧).

إذن فهو ينكر هذه المعجزات المادية التي تُنسب لنبي الإسلام؛ وحجته في ذلك أنّ الله أراد أن تكون معجزة النبي معجزة إنسانية عقلية، وهذه المعجزة هي القرآن وهي أكبر المعجزات التي أذن الله بها، وقد أراد الله أن تثبت رسالة نبيه بالحجة البينة والدليل الدامغ، وأراد لدينه أن ينتصر بفضل منه في حياة رسوله، ليرى الناس في انتصاره قوّة سلطانه ولو أراد الله أن تكون المعجزة المادية وسيلة إلى اقتناع من نزل الإسلام على رسوله بينهم، لكانت ولذكرها في كتابه(١٣٨) .

ويستدل بقوله تعالى:{ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } (الإسراء :90–93)، حيث يذكر أن

(١٣٥) عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص ١٤١
(١٣٦) القاضي عبدالجبار: المختصر في أصول الدين، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة١٩٨٨م،٢٦٨
(١٣٧) محمد حسين هيكل : حياة محمد : دار المعارف ، الطبعة الرابعة عشرة، ص٧١
(١٣٨) السابق ، ص٧٢

سبب نزول هذه الآيات أنّ أهل مكة كانوا يطلبون إلى النبي أن يجري ربُّه على يديه المعجزات إذا أرادهم أن يصدقوه، فنزل القرآن يذكر ما طلبوا ويدفعه بحجج مختلفه(١٣٩).

ثم يوضح هيكل انعدام الفائدة من هذه المعجزات المادية حيث يذكر أن المسلمين الأوائل لم يكن السبب في إيمانهم هو المعجزات المادية؛ فلم يذكر التاريخ أن المعجزات حملت أحدًا منهم على أن يؤمن؛ بل كانت حجة الله البالغة عن طريق الوحي على لسان نبيه، وكانت حياة النبيّ، في سموّها البالغ غاية السمو، هي التي دعت إلى إيمان من آمن منهم، وإن كتب السيرة جميعًا لتذكر أن طائفة من الذين آمنوا برسالة النبي قبل الإسراء قد ارتدّت بعد أن ذكر النبي أنه أُسري به، ولم يؤمن (سراقة)، رغم ما روت كتب السيرة من معجزة الله في سراقة وفي جواده، ولم يذكر التاريخ أن مشركًا آمن برسالة النبي لمعجزة من المعجزات، كما آمن سحرة فرعون لمّا لقفت عصا موسى ما صنعوا(١٤٠) .

ويرفض (هيكل) الاعتماد على كتب السيرة التي نَسَبتْ للرسول معجزات كثيرة، وحجته في ذلك عدم الدقة في هذه الكتب وكثرة الخلاف بينها فيما نُسب إلى النبي، فقد لاحظ الذين درسوا هذه الكتب أن ما روته من أنباء الخوارق والمعجزات ومن كثير غيرها من الأنباء، كان يزيد وينقص دون مسوّغ إلا اختلاف الأزمان التي وُضعت هذه الكتب فيها، فقديمها أقل رواية للخوارق من متأخرها، وما ورد من الخوارق في الكتب القديمة أقل بُعْدًا عن مقتضى العقل مما ورد في كتب المتأخرين، وهذه سيرة ابن هشام أقدم السير المعروفة اليوم تغافل كثيرا مما ذكره أبو الفداء في تاريخه، ومما ذكره القاضي عياض في كتاب الشفاء، ومما ذُكر في كتب المتأخرين جميعا(١٤١).

ويعلل (هيكل) كثرة الروايات عن المعجزات في العصور المتأخرة بأنها كانت رغبة في زيادة الإيمان فقد حسبوا أن ذكر هذه المعجزات ينفع ولا يضرّ، ولكن يوضح أن ما حدث هو عكس المقصود وخاصة في عصرنا؛ حيث اتخذ خصوم الإسلام ما ذكروه منها حجة على الإسلام، كما أن هذه الروايات أصبحت تزيغ قلوبًا (١٤٢).

(١٣٩) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص٧١
(١٤٠) السابق ، ص٧٣
(١٤١) السابق ، ص٦٤
(١٤٢) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص ٧٠

ويوجه (هيكل) أصابع الاتهام إلى الاستعمار الغربي، حيث كشف عن دور الاستعمار في تأييد ما دُسَّ على الإسلام، وعلى سيرة الرسول من خرافات لا يسيغها العقل ولا يقبلها الذوق، وعلى تأييد الطاعنين على الإسلام وعلى رسوله بما دُسَّ على الإسلام وعلى سيرة الرسول(١٤٣).

ويتبنى هذا الاتجاه المنكر للمعجزات المادية للرسول في الوقت المعاصر (جورج طرابيشي) في كتابه (المعجزة أو سُبات العقل في الإسلام) حيث يرى أن النبي لم يكن له معجزة مثل بقية الأنبياء وهذا في رأيه ما جعل الشك يتزايد في رسالته عند العرب(١٤٤)، وحجته أن روايات السيرة وعشرات الآيات القرآنية يُستخلص منها أنه ليس للنبي سند من المعجزات سوى القرآن(١٤٥)، ويرى أنه رغم ذلك فهناك الكثير من المعجزات التي نُسبت للنبي وهي عند (ابن هشام:ت213هـ) عشر معجزات ثم جعلها (الماوردي:ت450هـ) في أعلام النبوة قرابة الأربعين معجزة وبلغت عند (القاضي عياض:544هـ) قرابة المائة والعشرين معجزة، وزعم البعض أن له ثلاثة آلاف معجزة(١٤٦).

وينكر الدكتور حسن حنفي (ت٢٠٢١م) أن تكون للنبي معجزة غير القرآن؛ وحجته أن المعجزة ليست ذات جدوى خاصة لخاتم الأنبياء لأن هذه المرحلة هي مرحلة اكتمال الوحي واستقلال العقل والاعتماد على المعجزات الخارقة للطبيعة يعد ارتدادًا إلى الوراء حيث ضعف العقل الإنساني ولذلك كانت المعجزة مستحيلة عقلا(١٤٧).

كل هذا يوضح قوة الاتجاه الذي ينكر خوارق ومعجزات الرسول الخبرية ولا يعترف بغير القرآن سيرًا مع الاتجاه التجريبي الحديث الذي يتمسك بالحتمية ويرى القول بالمعجزات مخالفًا للعقل ومناقضًا للعلم ومضادًا لقوانين الطبيعة الحتمية والصارمة التي تحكم عالمنا؛ الذي هو في نظر المحدثين آلة كبيرة مترابطة ولا يدخل في عملها أي عامل خارجي.

الاتجاه الثاني: تأويل خوارق النبي المادية (الكونية والحسية):

قدّم بعض المفكرين تأويلات للخوارق المادية التي وردت في ظواهر القرآن وكثير من الأحاديث الصحيحة، وأعرض فيما يلي بعض هذه التأويلات:

(١٤٣) السابق، ص٣٦
(١٤٤) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، دار الساقي، الطبعة الأولى،٢٠٠٨ ،ص ١٧
(١٤٥) السابق،ص ٣٢
(١٤٦) السابق ،ص ٧٦
(١٤٧) حسن حنفي:من العقيدة إلى الثورة، ج٤، ١٦٢ومابعدها

1 – الإسراء والمعراج ، وقد ورد ذكر الإسراء في الآيات الأولى من سورة الإسراء، وجاء ذكر المعراج في أوائل سورة النجم، قال ابن عاشور (ت١٩٧٣م) في تفسيره لسورة الإسراء " فللنبي _ صلى الله عليه وسلم _ كَرَامَتَانِ :أُولَاهُمَا الْإِسْرَاءُ وَهُوَ الْمَذْكُورُ هُنَا، وَالْأُخْرَى الْمِعْرَاجُ وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ مُطَوَّلًا وَأَحَادِيثَ غَيْرِهِ وَقَدْ قِيلَ :إِنَّهُ هُوَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي سُورَةِ النَّجْمِ[١٤٨].

وكما يذكر أبو عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ) فإن السلف والخلف اختلفوا في هل كان الإسراء بالروح والجسد أم بالروح فقط؛ فقال: إت طائفة ذهبوا إلى أنهُ كان إسراءٌ بالرُّوح وأنه لم يُفارق شخصُهُ مضجعهُ، وأنها كانت رُؤيا رأى فيها الحقائق، ورُؤيا الأنبياء حقٌّ وذكر أن من ذهب إلى هذا مُعاويةُ وعائشةُ، وحُكي عن الحسن وابن إسحاق، وقالت طائفةٌ :كان الإسراءُ بالجسد يقظةً إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالرُّوح، واحتجُّوا بقوله تعالى{سُبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى}فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء، وقالو لو كان الإسراءُ بجسده إلى زائدٍ على المسجد الأقصى لذكرهُ، فإنهُ كان يكُونُ أبلغُ في المدح، ثم قال القرطبي إن معظم السلف والمُسلمين قد ذهبوا إلى أنهُ كان إسراءً بالجسد وفي اليقظة، وأنهُ ركب البُراق بمكة، ووصل إلى بيت المقدس وصلى فيه ثُم أُسري بجسده[١٤٩].

وقد صُنفت كتب كثيرة حول الإسراء والمعراج منها:

١ – الكوكب الوهاج في أحاديث المعراج، لأبي بكر البسطامي

٢ – الآيات البينات في معراج سيد الأرض والسماوات، لمحمد بن يوسف الشامي الصالحي

٣ – الابتهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، لنجم الدين الغيطي

٤ – الآية الكبرى في قصة الإسراء، للسيوطي

٥– السراج الوهاج في الإسراء والمعراج، لأبي إسحاق النعماني

وقد أورد السيوطي في كتابه (الآية الكبرى) خمسة عشر حديثًا عن الإسراء والمعراج، ثم تحدث تحت عنوان حقيقة الإسراء والمعراج فقال إن الناس اختلفوا هل كانا في ليلة واحدة، وأيهما كان قبل الآخر، وهل كان في اليقظة أو في المنام، أو بعضه في اليقظة وبعضه في المنام، زهل

(١٤٨) ابن عاشور:التحرير والتنوير، ج١٥،ص ٢٣، ٢٤
(١٤٩) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٢٠٨

كان مرة أو مرتين أو مرات، ثم قال: ذهب الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أنهما وقعا في ليلة واحدة في اليقظة(١٥٠).

ويبدو واضحًا قوة النصوص ثبوتًا ودلالة على حدوث الإسراء والمعراج ولذلك رأينا خضوع ابن عاشور لهذه النصوص وعدم خوضه في تأويها رغم شغفه بتأويل بعضا من خوارق الأنبياء كما رأينا سابقًا.

ولكن هناك من تحّرج من هذه الخارقة الشهيرة، فهذا السيد أحمد خان (ت١٨٩٨م) يذكر أن بعض المسيحيين يهزءون من المسلمين لقولهم بالإسراء والمعراج، ونتيجة لذلك يقرر أن الإسراء والمعراج مجرد حلم أو رؤيا(١٥١)

وقد اجتهد محمد حسين هيكل في التدليل على أن الإسراء والمعراج كانا بالروح فقط؛ بمعنى أن النبي لقوة روحه انجمعت له الحياة الروحية في الكون كله من الأزل إلى الأبد فاطّلع عليها واطّلع على ما في السموات وما في الأرض، وهو يرى أن الإسراء بالروح وبهذا المعنى لا يتناقض مع ما كشفه العلم الحديث من انتقال الأصوات والصور والمكتوبات عبر الأثير(١٥٢).

٢ – انشقاق القمر

وقد وردت في قوله تعالى:" اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ"(القمر:1) ذكر (ابن كثير) أن القمر انشق في زمان رسول الله، وأن ذلك ثابت في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وأن هذا أمر متفق عليه بين العلماء وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات(١٥٣).

ورغم أن رشيد رضا يورد كثيرًا من هذه الأحاديث التي جاء فيها انشاق القمر إلا إنه في النهاية يسقطها جميعًا على اعتبار أن أكثرها مراسيل وما صح منها متضارب، ثم يؤول ما ورد من سورة القمر بقول انشق القمر أي طلع وانتشر نوره، وهذا كما يذكر موافق للغة ويؤيده سياق الآيات ويكون في الآية بمعنى ظهر الحق ووضح كالقمر يشق الظلام بطلوعه ليلة البدر(١٥٤)

(١٥٠) السيوطي : الآية الكبرى في شرح قصة الإسرا، ضمن كتاب الإسراء والمعراج لابن حجر العسقلاني والسيوطي، تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص٤٦

(١٥١) سيد أحمد خان: الخطابات الأحمدية في العرب والسيرة المحمدية، دوست ايسوسي اينس، ناشران وتاجران كتب، الكريم ماركيث اردو بازار، لاهور، ص٣٥٣، ٣٥٥

(١٥٢) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص٢٠٧-٢٠٩

(١٥٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م،ج٧،ص ٤٧٢

(١٥٤) انظر مجلة المنار، المجلد رقم ٣٠، ص٢٦١، ٣٦١

ورغم أن الطاهر بن عاشور ينقل رأي الجمهور في أن انشقاق القمر هو من المعجزات الكبرى للرسول وينقل أيضًا الأحاديث الصحيحة التي تؤكد حدوث معجزة انشقاق القمر، إلا إننا نجده يقدم تأويلات عدة لهذه المعجزة، وهو من خلال هذا التأويل يريد أن يدلل على أن القمر لم ينشق نصفين كما قال به المفسرون.

أول هذه التأويلات عند (ابن عاشور) أنه يجوز أن يكون قد حدث خسف عظيم في كرة القمر أحدث في وجهه هوة لاحت للناظرين في صورة شقه إلى نصفين بينهما سواد حتى يخيل أنه منشق إلى قمرين، فالتعبير عنه بالانشقاق مطابق للواقع لأن الهوة انشقاق وموافق لمرأى الناس لأنهم رأوه كأنه مشقوق.

والتأويل الثاني أنه يجوز أن يكون قد حصل في الأفق بين سمت القمر وسمت الشمس مرور جسم سماوي من نحو بعض المذنبات حجب ضوء الشمس عن وجه القمر بمقدار ظل ذلك الجسم على نحو ما يسمى بالخسوف الجُزئيّ، وليس في لفظ أحاديث أنس بن مالك عند مسلم والترمذي، وابن مسعود وابن عباس عند البخاري ما يناكد هذا.

والتأويل الثالث أنه من الممكن أن يكون هذا الانشقاق حدثاً مركباً من خسوف نصفي في القمر على عادة الخسوف فحجب نصف القمر، والقمر على سمت أحد الجبلين وقد حصل في الجو ساعتئذٍ سحاب مائي انعكس في بريق مائه صورة القمر مخسُوفاً بحيث يخاله الناظر نصفاً آخر من القمر دون كسوف طالعاً على جهة ذلك الجبل، وهذا من غرائب حوادث الجوّ. وقد عُرفت حوادث من هذا القبيل بالنسبة لِأَشِعَّةِ الشَّمْسِ، ويجوز أن يحدث مثلها بالنسبة لضوء القمر على أنه نادر جدًا.

ونتيجة لهذه التأويلات يرى ابن عاشور أن إطلاق الانشقاق على حدوث هوة في سطح القمر إطلاق حقيقي، وإطلاقه على انطماس بعض ضوئه استعارة، وإطلاقه على تفرُّقِه نصفين مجاز مرسل[١٥٥].

٣- قتال الملائكة يوم بدر

يعتقد الجمهور أن الملائكة نزلت وقاتلت مع المسلمين يوم بدر، قال الإمام القرطبي "تظاهرت الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت" [١٥٦] ومن المحدثين قال (ابن عاشور):"

(١٥٥) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤،ج٧،ص ١٦٧- ١٧٠

وقد ثبت أنّ الملائكة نزلوا يوم بدر لنصرة المؤمنين، وشاهد بعض الصّحابة طائفة منهم، وبعضهم شهد آثار قتلهم رجالاً من المشركين"[١٥٧]، وقد استدلوا بما ورد في القرآن(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِين"(الأنفال 9).

وقد ذكر الزمخشري (ت538هـ) أن هناك من قال إن الملائكة لم تقاتل يوم بدر وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبّتون المؤمنين، وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم، فإنّ جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط، وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة[١٥٨]. وهذا الرأي هو ما تبناه (محمد عبده) فيقول"ليس في القرآن الكريم نص ناطق بأنَّ الملائكة قاتلت بالفعل"[١٥٩] ويفسر المدد بالملائكة الوارد في الآية بأنه كان بمعنى تثبيت القلوب وتقوية العزائم[١٦٠] . وإلى مثل ذلك ذهب أحمد مصطفى المراغي حين قال:" الإمداد بالملائكة يصح أن يكون من قبيل الإمداد بالمال الذي يزيد فى قوة القوم، وأن يكون من الإمداد بالأشخاص الذين ينتفع بهم ولو نفعًا معنويًا، وذلك أن الملائكة أرواح تلابس النفوس فتمدها بالإلهامات الصالحات التي تثبّتها وتقوى عزيمتها."[١٦١]

٤ – هلاك أبرهة وجيشه بالطير الأبابيل

والتي وردت في سورة الفيل وتعد إرهاصًا لبعثة النبي، وفيها{ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ }(الفيل:٣-٥).

وقد ذكر المفسرون أن هلاك أبرهة وجيشة كان بأن أرسل الله عليهم طيورًا تحمل حجارة في أفواهها وأقدامها وألق بها على أبرهة وجيشة مما كان سببًا في هلاكم وقد عُدّ هذا من باب الإرهاص لميلاد النبي الخاتم قال أبو عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ) في تفسيره "قَالَ عُلَمَاؤُنَا: كَانَتْ قِصَّةُ الْفِيلِ

(١٥٦) أبو عبدالله القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، المحقق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م،ج٤، ص١٩٢،ابن كثير ، تفسير القرآن،ج٤،ص ٢٠ ٢١،

(١٥٧) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ،ج٤،ص ٧٣

(١٥٨) الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق : عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي - بيروت،ج٢،ص ١٩١

(١٥٩) تفسير المنار،ج٤،ص ٩٣

(١٦٠) تفسير المنار،ج٤،ص ٩٤

(١٦١) تفسير المراغي،ج٤،ص ٥٧

فِيمَا بَعْدُ مِنْ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَانَتْ قَبْلَهُ وَقَبْلَ التَّحَدِّي، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَوْكِيدًا لِأَمْرِهِ، وَتَمهِيدًا لِشَأْنِه" (١٦٢).

ولكن سير سيد أحمد خان (ت١٨٩٨م) عندما ساق قصة الفيل وأبرهة لم يذكر الطير الأبابيل ولكن قال إن الجيش أصابه مرض الجدري الذي لم يكن معهودًا كن قبل في ذلك المكان(١٦٣)، وهذا ما قال به محمد عبده (ت١٩٠٥هـ) فذكر أنهم أصيبوا بالجدري وأن المقصود بالطير الأبابيل يمكن أن يكون البعوض أو الذباب الذي يحمل في أرجله الجراثيم أو يمكن أن تكون الميكروبات فهي تطير أيضًا وفي جماعات لا تحصى(١٦٤).

وكذلك أوّل محمد حسين هيكل (ت١٩٦٤م) هذ الأمر الخارق فجعل هلاك أبرهة وجيشة بسبب مرض الجدري الذي تفشى في الجيش وقال ربما جاء هذا المرض من البحر الأحمر(١٦٥).

وفي تفسيره يقول محمد فريد وجدي"ولا يبعد من أن تكون تلك الطيور ميكروبات الطاعون إذا لا مانع من تسميتها طيورًا"(١٦٦).

٥ – حفظ النبي من سراقة بن مالك

وهي مما رواه البخاري ومسلم" عَنْ أَبِي إِسْحقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، إِلَى الْمَدِينَةِ، تَبَعَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ قَالَ: ادْعُ اللهَ لِي وَلاَ أَضُرُّكَ، فَدَعَا لَهُ "(١٦٧).

وقد عرض (هيكل) قصة سراقة وجعل فرسه قد أنهك وكبا أكثر من مرة من شدة التعب فحسب سراقة أن الآلهة لا ترضى فعله فلم يقدم على إيذاء النبي(١٦٨)، وإني لأعجب من تكلّف الدكتور هيكل إذا يتكلم وكأنه رأى الحادثة ورأى فرس سراقة وقد أنهكه التعب فكبا مرات ولم يدرك

(١٦٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وآخرون، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية،١٣٨٤ه، ١٩٦٤م ، ج ٢٠، ص١٩٥

(١٦٣) سيد أحمد خان: الخطابات الأحمدية، ص٣٠٣، ٣٠٤

(١٦٤) محمد عبده : تفسير جزء عم، الطبعة الثالثة، ١٣٤١هـ، مطبعة مصر، نشرته الجمعية الخيرية الإسلامية، ص١٥٨

(١٦٥) محمد حسين هيكل : حياة محمد ، ص١١٩ -١٢٠

(١٦٦) محمد فريد وجدي: المصحف المفسر، مطبعة العلوم بشاع الخليج،الطبعة الخامسة، ١٣٦٨ه، ١٩٤٨م، ص٨١١

(١٦٧) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر، بيروت، ص٦٤٠

(١٦٨) محمد حسين هيكل : حياة محمد، ص٢٢٧

سراقة تعب فرسه وهو فارس بل ظن حسب رواية هيكل أن الآلهة لا ترضى فعله فعاد وترك النبي سالمًا وهو الطالب له أو للجائزة الكبرى التي رصدتها قريش! ولكن كيف نناقش الدكتور هيكل وهو لا يقرّ بالأحاديث الصحاح في البخاري ومسلم.

٦ – **شق الصدر**

وقد ورد شق صدر النبي في أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي (ت٢٩٧هـ) في سننه قال" حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ :حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " :بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَاليَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ :أَحَدٌ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مَاءُ زَمْزَمَ، فَشَرَحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا - قَالَ قَتَادَةُ :قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: مَا يَعْنِي؟ - قَالَ :إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِي، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَغُسِلَ قَلْبِي بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا"(١٦٩).

وقد جاءت الأحاديث بأن شق الصدر حدث أكثر من مرة، قال ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)" وَقَدِ اسْتَنْكَرَ بَعْضُهُمْ وُقُوعَ شَقِّ الصَّدْرِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَقَالَ :إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ وَهُوَ صَغِيرٌ فِي بَنِي سَعْدٍ، وَلَا إِنْكَارَ فِي ذَلِكَ؛ فَقَدْ تَوَارَدَتِ الرِّوَايَاتُ بِهِ. وَثَبَتَ شَقُّ الصَّدْرِ أَيْضًا عِنْدَ الْبَعْثَةِ"(١٧٠)، ثم قال:" وَجَمِيعُ مَا وَرَدَ مِنْ شَقِّ الصَّدْرِ وَاسْتِخْرَاجِ الْقَلْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ مِمَّا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ دُونَ التَّعَرُّضِ لِصَرْفِهِ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِصَلَاحِيَّةِ الْقُدْرَةِ، فَلَا يَسْتَحِيلُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ." (١٧١).

(١٦٩) أبو عيسى الترمذي: سنن الترمذي، الجزء الخامس، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ،١٩٧٥م، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ألم نشرح، رقم الحديث ٣٣٤٦

(١٧٠) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية – مصر، الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ، ج٧ ص٢٠٥

(١٧١) المرجع نفسه

ورغم أن كثيرًا من المفسرين يذكرون بعضًا من هذه الأحاديث الواردة في شق الصدر عند تفسيرهم لسورة الشرح مثل ما فعل ابن كثير[١٧٢] والقرطبي[١٧٣] إلا أن محمد عبده عند تفسيره لسورة الشرح لم يذكر هذه الحادثة الخارقة ولا أية أحاديث عن شق الصدر وجعل شرح الصدر هو هداية الله لنبيه بالوحي[١٧٤]، وكذلك فعل أحمد مصطفى المراغي في تفسيره[١٧٥]، ومحمد فريد وجدي في المصحف المفسر[١٧٦].

أم السيد أحمد خان فقد رفض كل الأحاديث الواردة في شق الصدر سواء ما ذكر من حادثة الشق في طفولته أو عند الإسراء والمعراج[١٧٧]

وهكذا قدم المتحرجون من الخوارق المادية لنبي الإسلام تأويلات لما ثبت منها في القرآن أو الحديث ويبدو أن هذه التأويلات فيها تعسف كبير، ورأيي أنه إن صحّ حدوث هذه الخوارق فلا مجال لتأويلها فالواجب هو البحث في سندها والتحقق من ذلك فإن ثبتت فيجب التسليم بها لموافقتها الأصل من أن الأنبياء تحدث لهم الخوارق تأييدًا وإكرامًا.

الاتجاه الثالث: إثبات الخوارق المادية (الكونية والحسية) للرسول الخاتم بدون تأويل

أكد الأشاعرة على وجود معجزات مادية للرسول؛ فهذا (الباقلاني ت٤٠٣هـ) يذكر خوارق كونية وحسية، كانشقاق القمر، واستنزال المطر، وإزالة الضرر من الأمراض، ونبع الماء من بين أصابعه، وتسبيح الحصى في يده، ونطق البهائم، إلى غير ذلك من المعجزات والآيات الخارقة للعادة[١٧٨]. وكذلك أقرّت المعتزلة بهذه المعجزات؛ فدافع القاضي عبد الجبار عن هذه المعجزات وغيرها وأفرد لذلك كتاب (تثبيت دلائل النبوة) أورد فيه كثيرًا من هذه المعجزات موضحًا صدق حدوثها وقوة دلالتها على النبوة، وهذا ما فعله أيضا في موسوعته (المغني) حيث قدم الحجج القوية

(١٧٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٥، ٤١٥
(١٧٣) انظر تفسير القرطبي، ج٢٠، ص١٠٤
(١٧٤) انظرتفسير جزء عم، ص١١٤وما بعدها
(١٧٥) انظر تفسير المراغي، ج٢٠، ص١٨٩وما بعدها
(١٧٦) انظرالمصحف المفسر ، ص٨٠٣
(١٧٧) انظر الخطابات الأحمدية، ص٣٥١ - ٣٥٣
(١٧٨) الباقلاني: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به،تحقيق محمد زاهد الكوثري،المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية١٤٢١هـ،٢٠٠٠م،ص٦٠

على أن هذه المعجزات من دلائل وأعلام النبوة الصحيحة[١٧٩]، والاتجاه السلفي هو أقوى الاتجاهات إيمانًا وتمسكًا ودفاعًا عن هذه المعجزات، وقد زعم ابن تيمية (ت728هـ) أن الله جمع للرسول جميع أنواع المعجزات والخوارق[١٨٠].

واستمر الاتجاه السلفي في الدفاع عن معجزات النبي وخاصة ما ورد في القرآن وكان الشيخ مصطفى صبري (ت١٩٥٤م) من المنشغلين بالرد على الاتجاه الرافض والمؤوّل لهذه المعجزات، ومؤكدًا على حدوث المعجزات الكونية للرسول كانشقاق القمر والإسراء والمدد بالملائكة في بدر[١٨١].

وحديثًا يذكر (رفاعة الطهطاوي: ت1873م) أن المعجزات المادية للرسول ثابتة وهي التي وردت في القرآن الكريم والسنة الصحيحة؛ وعند الطهطاوي أن النبي قد جمع له الله كل معجزات الأنبياء السابقين، ويذكر أن من أمهات معجزاته انشقاق القمر الذي أجمع أهل السنة والمفسرون على حدوثه، ويذكر خوارق حدثت يوم الهجرة مثل نسيج العنكبوت وتعشيش الحمامتين وما حدث لفرس سراقة بن مالك وشاة أم معبد، وأيضا معجزات شفائه لبعض أصحابه، وكذلك استجابة دعائه، وحنين الجذع وتسبيح الحصى في كفه، وتكثير الطعام، وإخباره بالغيوب[١٨٢].

ولكن (الطهطاوي) يرفض خوارق نسبها بعض القصاص والعوام للرسول ولا أصل لها ومن ذلك قولهم إن القمر دخل في جيبه وخرج من كمه، وكذلك ما يذكره العوام من أن الورد مخلوق من عرقه، وكذلك ما قالوه من تأثير قدمه في الصخر[١٨٣].

قدّم هذا الاتجاه دفاعًا عن هذه الخوارق المادية للرسول، وحجتهم أنّ هذه المعجزات وردت في الأحاديث الصحيحة والثابتة، ثم إن هذه المعجزات ليست من المحالات عقلًا، فهذا شيخ الأزهر عبد الحليم محمود (ت1978م) ألّف كتابًا حول معجزات النبي بعنوان (دلائل النبوة ومعجزات الرسول) وقال فيه" ونؤمن أيضا بمعجزات محمد صلى الله عليه وسلم إذا وردت عن طريق صحيح نؤمن

(١٧٩) القاضي عبدالجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٦ إعجاز القرآن، تحقيق محمود محمد قاسم ، ص٤٠٧ومابعدها، وتثبيت دلائل النبوة،دار المصطفى ،شبرا،القاهرة

(١٨٠) ابن تيمية:مجموع الفتاوى، ،ج١١، ص٣١٥

(١٨١) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ،ج٤،ص ١٧٠

(١٨٢) رفاعة رافع الطهطاوي: الأعمال الكاملة،الجزء الرابع، سيرة الرسول وتأسيس الدولة الإسلامية، تحقيق د/ محمد عمارة، دار الشروق، طبعة خاصة لمكتبة الأسرة،٢٠١٠/٢٠١١ ، ص ٤١٩-٤٢٩

(١٨٣) رفاعة رافع الطهطاوي: الأعمال الكاملة،الجزء الرابع، ، ص ٤٣٠

بها على تنوعها واختلافها ما دامت قد وردت في القرآن الكريم أو في صحاح الأحاديث"[١٨٤]، وهي في رأيه لا تناقض العقل[١٨٥].

وحاول البعض كذلك إثبات أن هذه المعجزات تتوافق مع العلم الحديث، فنحن نرى محمد فريد وجدي يبيّن أن الإسراء كان بالروح والجسد وأن هذا لا يتنافى مع ما وصل إليه العلم الحديث لأن انتقال الإنسان من مكان إلى مكان بواسطة القوة الروحية أثبته العلم الحديث وعلى ذلك فإن إيماننا بإسراء النبي لا يعارض العلم الحديث[١٨٦].

إذن فقد ذهب البعض لمحاولة إثبات أن هذه المعجزات المادية تتوافق مع القوانين الطبيعية أو لا تتناقض مع ما كشفه العلم، ولكن ليس كل المعجزات يمكننا أن نقول إن العلم يقبلها أو يمكن تخريجها وفق ما كشفه العلم، فمثلًا كيف يمكن أن يكون إنشقاق القمر موافقًا للعلم إلا على رأي من يرى أنه كان كسوفًا وحينئذ يخرج عن كونه إنشقاقًا حقيقيًا، كذلك نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وغير ذلك لا يمكن حتى الآن أن يكون ممكنًا علميًا، وعلى هذا فإن محاولة المدافعين عن الخوارق الحسية إثبات موافقتها للعلم التجريبي محاولة في رأيي غير ناجحة.

والحق فإن هذه المحاولات التي تحاول إيجاد توافق بين خوارق الأنبياء والعلم محاولة لا أساس لها من العلم أو الدين، لأن كون الشيء خارقًا يعني أنه لا يمكن فهمه حسب القوانين العلمية وإلا لو أنه خضع للعلم وقوانينه وصار مفهومًا ومقبولا علميًا لسقط عن كونه خارقًا، وبذلك فإن كل ما قاله هؤلاء هو تكلّف غير مفيد وغير مقنع، ولا بد أن ندرك أن فاعل هذه الخوارق هو الله وحده وهو الذي يدرك سرها.

<u>ويقدّم بعض هؤلاء ردودًا على استدلالات المنكرين لهذه الخوارق الحسية المنسوبة للنبي</u>

١ – الرد على استدلال المنكرين بقوله تعالى: "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ"(الإسراء: ٥٩).

ويرد عليهم شيخ الأزهر محمد الخضر حسين (ت١٩٥٨) بأنه ليس في هذه الآية ما يثير إشكالاً؛ فإن كفار قريش كانوا يقترحون على النبي – صلى الله عليه وسلم – آيات يصفونها، وإنما

(١٨٤) عبدالحليم محمود: دلائل النبوة ومعجزات الرسول، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت الطبعة الأولى،١٤١٤هـ،١٩٩١م ص ٢٠٩
(١٨٥) عبدالحليم محمود: دلائل النبوة ومعجزات الرسول،ص ٢١٥
(١٨٦) محمد فريد وجدي: الإسلام في عصر العلم، ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ،ص ٣٢٠

يقترحونها على وجه التعنت؛ مثل: الآيات التي حكاها الله عنهم في قوله تعالى:{وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} (الإسراء: 90 – 93). وذكر تعالى في جوابهم: أنه لا يرسل هذه الآيات التي اقترحوها تعنتاً؛ حيث علم أنهم سيلاقونها بالتكذيب، ودل على هذا: بأن قوماً يماثلونهم في طبائعهم النفسية كذبوا بمثل هذه الآيات(١٨٧).

ويرد أيضًا الشيخ عبدالحليم محمود (ت1978م) على من استدل بقوله تعالى "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ"(الإسراء: 59) بأن الله لم يُجب قريشًا إلى ما طلبوه من معجزات لأنه من سنته سبحانه تدمير الأقوام الذين يكذبون بالمعجزات التي يطلبونها فلو أجاب قريش لما طلبوه ثم كذبوا كعادتهم وكعادة الأقوام قبلهم لأهلكهم ولكن شاء الله أن يبقيهم فآمنوا بعد ذلك وخرج منهم من ينشر الإسلام كخالد وغيره(١٨٨).

٢ – الرد على استدلال المنكرين بقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(العنكبوت: ٥٠ – ٥١) .

وهذه الآية وأمثالها استشهد بها المستشرق الألماني تيودور نلدكه (ت1930م) في كتابه (تاريخ القرآن) حيث يرى أن النبي رفض اجتراح المعجزات صراحة في مواضع كثيرة في القرآن معلنًا أنه نذير وبشير فقط لذا رأى أن معجزة الإسراء والمعراج كانت منامًا رآه النبي(١٨٩).

فهذه الآية كما يوضح الشيخ محمد الخضر حسين (ت١٩٥٨م) لا دلالة فيها على مزاعم منكري الخوارق المادية للرسول؛ لأن الآية مرادها أنه لما سأل المشركون آية من رسول الله تعنتًا أخبرهم الله أن الآيات بيد الله فقط وحده ويحدثها وفق حكمته وقد أراهم الله آيات كافية وأعظمها القرآن فلو صدَقوا في أنهم يطلبون الآيات ليؤمنوا لكان القرآن كافيًا لذلك(١٩٠).

(١٨٧) محمد الخضر حسين: موسوعة الأعمال الكاملة، المجلد الرابع(محمد رسول الله)،ص١٩٨ ومابعدها
(١٨٨) عبدالحليم محمود: دلائل النبوة ومعجزات الرسول ،ص ٢١٠، ٢١١
(١٨٩) تيودور نولدكه: تاريخ القرآن،نقله للعربية جورج تامر وآخرون، دار نشر جورج ألمز،٢٠٠٠م،الطبعة الثانية،ج١ ،ص ١٢٠
(١٩٠) محمد الخضر حسين: موسوعة الأعمال الكاملة، المجلد الرابع(محمد رسول الله)،ص١٩٩

ويرى الشيخ مصطفى صبري (ت١٩٥٤م) أن هذه الآيات لا تمنع وجود خوارق حسية للنبي وأن هذه الآيات وأمثالها قصد بها بيان أن أمر المعجزات بيد الله وحده فضلا عن أن طالبي المعجزات كانوا مكابرين معاندين يعلم الله أنهم لن ينتفعوا بها(١٩١) .

٣ – الرد على استدال منكري الخوارق المادية للرسول بقوله تعالى "فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا" (فاطر:٤٣) .

أوضح الشيخ مصطفى صبري (ت١٩٥٤م) أن المراد بسنة الله في هذه الآية : عذاب الله الذي يقع على الأقوام الذين كذّبوا الرسل بعد أن ظهرت لهم المعجزات البيّنات(١٩٢) والدليل على ذلك الآيات التي قبلها وهي قوله تعالى:{ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا* اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}(فاطر42–43)

وكلام الشيخ مصطفى واضح الصحة إذ إن سياق الآيات دالٌ على أن المراد بسنة الله عذاب الله الذي يلحق بالمعاندين الجاحدين.

هل استدل النبي الخاتم بالمعجزات المادية (الكونية والحسية) على صدقه وعلى صحة رسالته؟

رغم أن الشيخ رشيد رضا (ت١٩٣٥م) قلّل من قيمة خوارق النبي الحسية وأنكر بعض الخوارق الكونية مثل انشقاق القمر إلا أنه يرى أنه قد ثبت بطرق صحيحة للرسول خوارق حسية كثيرة، _ وجاء هذا في ردوده على من يكاثر المسلمين بمعجزات المسيح _ولكنه في رأيه لم يعتمدها الرسول في الدعوة، وذكر من تلك الخوارق نبع الماء من أصابعه، والإخبار بالغيوب، وحنين الجذع وشفاء المرضى وغيرها(١٩٣)، وكذلك يرى محمد فريد وجدي أن النبي حدثت على يديه خوارق ومعجزات حسية كثيرة غير القرآن لكنه لم يتخذها أساسًا للدعوة للإيمان(١٩٤)، ويرى د/جمال نصار أن الخوارق صاحبت النبي في حلّه وترحاله وفي كل مكان وزمان ولكن لم تُسمَّ معجزات لأنه لم

(١٩١) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين،ج٤،ص ١٨٥ومابعدها
(١٩٢) السابق،ج٤،ص ١١٧
(١٩٣) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد السادس، ص٦٨، الوحي المحمدي، ص ٥٤
(١٩٤) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، المجلد السادس ،ص ٢٠١

يتحد بها[١٩٥]، وربما هذا يفهم أيضا من قول ابن خلدون (ت808هـ) " والمعتمد القرآن وغيره تكملة"[١٩٦]. وهنا نحاول التعرف على إجابة السؤال التالي:

إذن فإنه رغم اعتراف بعض المفكرين بحدوث الخوارق الحسية للنبي الخاتم إلا إنهم يقولون إن النبي لم يحتجّ بها على نبوته، من أجل هذا أكثر مفكرونا في العصر الحديث من أن نبينا لم يستدل بالمعجزات الحسية مراعاة للعقل البشري ورفضًا لمخالفة القوانين الطبيعية، فهذا محمد رشيد رضا في كتابه (الوحي المحمدي) يتبنى هذه الفكرة فيؤكد على أن ما رواه المحَدِّثون من الآيات الكونية التى أكرم الله تعالى بها رسوله محمدًا ورغم أنها أكثر من كلّ ما رواه الإنجيليون وأبعد عن التأويل، ولكنه لم يجعلها برهانًا على صحة الدين، ولا أمر بتلقينها للناس، ذلك بأن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل فى ثبوتها وفى موضوعها؛ لأن البشر قد بدءوا يدخلون بها فى سن الرشد والاستقلال النوعى الذى لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف فى سنن الكون، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم العقلى مع هذا الخضوع، بل هو من موانعه[١٩٧].

ويعلل رشيد رضا حدوث تلك الخوارق الحسية والكونية للنبي، فهي لم تكن لإقامة الحجة على نبوته ورسالته، بل كانت من رحمة الله تعالى وعنايته به وبأصحابه فى الشدائد، كنصرهم على المعتدين من الكفار الذين يفوقونهم عددًا وعتادًا، مثلما حدث في غزوة بدر والأحزاب، ومن تلك الآيات: شفاء المرضى، وإبصار الأعمى، وإشباع العدد الكثير من الطعام القليل فى غزوة الأحزاب وفى غزوة تبوك، كما وقع للمسيح عليه السلام[١٩٨]، وجملة القول: أن نبوة محمّد صلى الله عليه وسلم قد ثبتت بنفسها، أى بالبرهان العلمى والعقلى الذى لا ريب فيه، لا بالآيات والعجائب الكونية، وإن هذا البرهان قائم ماثل للعقول والحواس فى كل زمان[١٩٩].

(١٩٥) د/جمال نصار حسين: الشريعة والمعجزة رؤية معاصرة، بحث في مجلة التربية قطر،سبتمبر٢٠٠٤، رقم العدد١٥٠، ص٢٣١

(١٩٦)ابن خلدون: لباب المحصل في أصول الدين، تحقيق د.عباس محمد حسن، دار المعرفة الجامعية ،١٩٩٦م، ص١٧٧

(١٩٧) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ص ١١٢

(١٩٨) السابق، ص ١١٣

(١٩٩) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ص ١١٥

تعقيب :

رأينا كيف مثلت خوارق الأنبياء جدلًا في الفكر الإسلامي الحديث وكيف أثرّ الفكر الغربي الحديث في رؤيته تجاه الخوارق، حيث سعى كثير من المفكرين إلى متابعة الأفكار الحديثة كالعقلانية والمادية والحتمية، والتي كان من نتائجها أن أمست الخوارق غير مقبولة ولا مكان لها وتمثُّل حرجًا لدى هؤلاء المتابعين للأفكار الغربية، فأضحت خوارق الأنبياء بين الإنكار الخالص والتأويل المتعسف، ولكن الغرض لهؤلاء المفكرين كان صالحًا فقد أردوا إظهار الإسلام موافقًا للعلم الحديث، وخافوا من اتهامه بمجافاة العقل ومخالفة السنن الكونية، وكذلك أرادوا أن يكون الإسلام مقبولًا لدى الغربيين وكذلك المتشبعين بالثقافة الغربية وهم الطبقة الراقية والمثقفة في مجتمعنا، وعلى ذلك لا يصحُّ أن نقابل اجتهاد هؤلاء المفكرين بالتشكيك في نواياهم أو بالاستهزاء أو بالتكفير أو غير ذلك، بل يجب أن نلتمس لهم العذر ونشكر لهم جهدهم واجتهادهم.

أما عن خوارق الأنبياء فالحق فيها عندي أن ما ثبت بنص قطعي صحيح وصريح فلابد من التسليم به؛ فالله سبحانه قادر على كل شيء والخوارق داخلة في قدرته لاسيما وهي ليست من المحال عقلًا، وأما عن جدلهم في هل الخوارق تحدث وفق سنن كونية خفية أو هي تحدث مخالفة للسنن الكونية؟ فأرى أن هذا لا يمكن الجزم فيه برأي لأننا لا نعرف سر هذه الخوارق وإن كان الظاهر أنها تخالف السنن الكونية المعروفة.

ويمكننا أن نقول مع (جورج طرابيشي) إن نقد أدبيات المعجزة في الإسلام لا يمس جوهره التأسيسي كما هو الحال في المسيحية وبالتالي فسيكون هذا النقد في صالحه على الأخص لصالح العقلانية التي هو بأمس الحاجة إلى أن يعيد التفكير بموروثه على أساسها [٢٠٠].

فلا بد إذن من تمحيص الروايات التي نسبت الخوارق الكثيرة للرسول ولا ينبغي التهاون في قبولها دونما تثبُّتْ لأن الكثير منها لم يصحّ وكيف لنا أن نقبل قول القائل إن الرسول كانت له ألف معجزة!

إن سعي البعض للدفاع عن الخوارق وخاصة المعجزة أدى بهم إلى ما يعدّه الكثيرون خطأً جسيمًا وهو إنكار السببية وهذ ما أشار إليه (إقبال:ت1938م) وأوضح كيف أن الأشاعرة أنكروا قانون السببية ليثبتوا المعجزات وأن الغزالي كان أفضل منْ مثّل هذا الموقف[٢٠١]. وإن كان البعض

(٢٠٠) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ،ص ١٧٩

(٢٠١) محمد إقبال: تطور الفكر الفلسفي في إيران،ترجمة حسن الشافعي، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ط١٤٠٩،١هـ،١٩٨٩م،ص ٦٢

يرى أن الأشاعرة والغزالي خاصة لم ينكروا السببية وإنما أنكروا الترابط الضروري الحتمي بين الأشياء[٢٠٢].

وأشارت الدكتورة يمنى الخولي إلى خطورة هذه النظرة القديمة لعلماء الكلام المسلمين خاصة لدى الأشاعرة على العقل والعلم، لأنهم من أجل الإبقاء على فكرة المعجزات أنكروا السببية والترابط الحتمي في الطبيعة، وهذا ما جعل (يمنى الخولي) تدعو لقطيعة معرفية مع التراث الكلامي فيما يخص الطبيعيات لخطورة مقولاتهم وضررها على مستقبل العلم في بلادنا![٢٠٣].

ولكننا نقول معها أيضًا إن الحتمية قد تراجعت كما ثبت بعد اكتشاف قوانين الديناميكا الحرارية والنظرية الحركية للغازات والسوائل والتي ظهر معها عجز الحتمية المادية[٢٠٤]، ونقول للدكتورة يمنى إن المسلمين تقدموا في السابق وكانت مقولات المتكلمين موجود ومعروفة ولم تعقهم عن النبوغ والإبداع والكشف عن حقائق علمية كثيرة والمساهمة في تقدم العلم، وأيضًا نقول لها إن الكليات العلمية عندنا لا تدرس علم الكلام ولا حتى الفلسفة فلا يخشى أحد على العلم في بلادنا من تراثنا الذي يعد مهملاً وبشكل واضح في المناهج العلمية، هذا إن صحّ أن التراث الكلامي لا يساعد على تقدم العلم، بل ربما كان العكس هو الصحيح[٢٠٥]

وعلى ذلك لا يصح رفض المعجزات الثابتة تمسكًا بالحتمية المادية، ولا يصح كذلك التشكيك في العقائد الدينية الثابتة لمجرد الاعتماد على نظرية علمية ذلك لأن العلم كثيرًا ما يتأثر بالعوامل الاجتماعية التي توجه النظريات العلمية اتجاهات بعينها، وبذلك يصبح العلم ظاهرة إنسانية ليست يقينية ترتبط غالبًا بتوجهات الإنسان[٢٠٦].

(٢٠٢) محمد باسل الطائي: الطبع والسببية عند الباقلاني،بحث منشور بمجلة دراسات الجامعة الأردنية، حزيران ٢٠٠٦، ص١٣

(٢٠٣) د. يمنى طريف الخولي : الطبيعيات في علم الكلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع،ص ٨٢-٨٥

(٢٠٤) د. يمنى طريف الخولي : فلسفة العلم في القرن العشرين، ضمن سلسلة عالم المعرفة، عدد ديسمبر ٢٠٠٠م،رقم العدد٢٦٤، ص ١١٠ ومابعدها

(٢٠٥) انظر في ذلك كتاب محمد باسل الطائي، دقيق الكلام الرؤية الإسلامية لفلسفة الطبيعة، عالم الكتب الحديثة، اربد، الأردن، ٢٠١٠م،

(٢٠٦) د. يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين ص ٤٢٥، ٤٤٠

الخاتمة

في ختام هذا البحث نستطيع أن نقول إننا توصلنا إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

١ – تبيّن أن خوارق الأنبياء منها المعجزة، والكرامة، والمعونة، والإرهاص.

٢ – اتضح أنه لا يصح إنكار السببية توصّلًا إلى إثبات إمكانية خوارق الأنبياء، ولا يصح كذلك إنكار خوارق الأنبياء تمسكًا بالسببية والحتمية.

٣ – ثُبتَ تأثر بعض المفكرين المسلمين بأفكار غربية أثّرت في رؤيتهم تجاه خوارق الأنبياء ومن هذه الأفكار: العقلانية والحتمية المادية وقانون الحالات الثلاثة.

٤ – تحرّج بعض المفكرين من الحديث عن خوارق الأنبياء ورأوا أن الحديث عنها ينفّر الكثيرين عن الدين.

٥ – اتضح خطأ المفكرين في محاولة تبريرهم حدوث خوارق الأنبياء السابقين بأنها ناسبت مرحلة ضعف العقل البشري.

٦ – قدّم بعض المفكرين تأويلات لخوارق الأنبياء لجعلها متوافقة مع القوانين الطبيعية، ولكن جاء الكثير منها متعسفًا وغير مقبول.

٧ – ظهر إنكار الخوارق الحسية للرسول صلى الله عليه وسلم عند بعض المفكرين الذين لم يعترفوا بغير القرآن معجزة له، وكان غرضهم من ذلك إظهار الإسلام متوافقًا مع الفكر الغربي الحديث.

٨– أصرّ الاتجاه السلفي واستمرّ على إثبات جميع الخوارق المنسوبة للرسول ودفع حجج المنكرين بأدلة قوية.

٩ – ظهر اضطراب بعض المفكرين في موقفهم من الخوارق الحسية فقد يقبل المفكر بعضًا من هذه الخوارق وينكر بعضًا ويؤول بعضًا.

١٠ – ثُبتَ أن النظريات العلمية غير يقينية وبالتالي فلا يصح عرض العقائد الدينية عليها، لأن العقائد الدينية ثابتة وموثوقة بينما النظريات العلمية متغيرة وغير يقينية.

مراجع البحث

١)إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة،١٩٧٦

٢)ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، تحقيق عبدالرحمن محمد قاسم،الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م،ج١١

٣) _____: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى١٤١٤هـ، تحقيق د/علي حسن وآخرون، ج٥

٤)ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية – مصر، الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ، ج٧ ص٢٠٥

٥)ابن حزم، أبو محمد علي بن حزم: المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار، ج١

٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: لباب المحصل في أصول الدين، تحقيق د.عباس محمد حسن، دار المعرفة الجامعية ،١٩٩٦م

٧)_____: العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن، والفهارس: أ.خليل شحادة، مراجعة: د.سهيل زكار، الناشر: دارالفكر، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م،ج١

٨)ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد: تهافت التهافت، تحقيق د/ سليمان دنيا،دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م،القسم الثاني ،ص ٧٧٣

٩) _____ مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق د/محمود قاسم،الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٦٤م

١٠) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله: الإشارات والتنبيهات، تحقيق د/ سليمان دنيا،دار المعارف بمصر، ١٩٦٨، الطبعة الثانية،القسم الرابع، التصوف

١١)_____: كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، نقحه وقدم له د/ماجد فخري، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

١٢)ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤

١٣)ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ،١٩٧٩م

١٤)ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م،ج٧

١٥)ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبيروآخرون، دار المعارف، المجلد الرابع،ج٣١

١٦) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش،و محمد المصري، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٤١٩ هـ،١٩٩٨ م

١٧)أبو الحسين الخياط: الرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق دكتور نيبرج، نشر :مكتبة الدار العربية للكتاب-القاهرة،نشر:أوراق شرقية - بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ١٩٩٣م
١٨)أبوالحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ج١، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى،١٣٦٩هـ،١٩٥٠م
١٩)أبو زهرة، محمد :زهرة التفاسير، دار الفكر العربي
٢٠)أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى ٢٠٠١م
٢١)أحمد أمين : ظهر الإسلام،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
٢٢)أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨، ج١
٢٣)أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م
٢٤)إسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م
٢٥) الإيجي، عضد الدين: المواقف في علم الكلام، عالم الكتب – بيروت
٢٦)الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، المكتبة الشرقية، بيروت، صححه ونشره الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، ١٩٥٨م
٢٧) الباقلاني: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به،تحقيق محمد زاهد الكوثري،المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية١٤٢١هـ،٢٠٠٠م
٢٨)البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ،١٩٨٨م، ج١
٢٩)الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي، الجزء الخامس، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ،١٩٧٥م
٣٠)التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي كشاف اصطلاحات العلوم والفنون،تحقيق: د. علي دحروج، لناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م،ج١
٣١)تيودور نولدكه: تاريخ القرآن،نقله للعربية جورج تامر وآخرون، دار نشر جورج ألمز،٢٠٠٠م،الطبعة الثانية،ج١
٣٢)الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ،١٩٨٣م
٣٣) جمال نصار حسين: الشريعة والمعجزة رؤية معاصرة، بحث في مجلة التربية قطر،سبتمبر٢٠٠٤، رقم العدد١٥٠
٣٤) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، دار الساقي، الطبعة الأولى،٢٠٠٨
٣٥)جون هرمان راندال: تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، ترجمة د. جورج طعمة، دار الثقافة بيروت
٣٦)الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة،١٤٠٧هـ،١٩٨٧م، ج٣
٣٧)حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، مكتبة مدبولي، المجلد الرابع من النبوة إلى المعاد

٣٨)خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م ،ج٦
٣٩)ديفيد هيوم: مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة د.موسى وهبة، دار الفارابي،بيروت لبنان، الطبعة الأولى،٢٠٠٨ م
٤٠) رفاعة رافع الطهطاوي: الأعمال الكاملة،الجزء الرابع، سيرة الرسول وتأسيس الدولة الإسلامية، تحقيق د/ محمد عمارة، دار الشروق، طبعة خاصة لمكتبة الأسرة،٢٠١٠/٢٠١١ م
٤١)رون هاليبر: العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار، الجهود الفلسفية عند محمد أركون، ترجمة جمال شحيد، ط١، ٢٠٠١م، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا
٤٢)الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي - بيروت،ج٢
٤٣)سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية، مكتبة النشري للطباعة والنشر، كراتشي باكستان،١٤٣٠هـ
٤٤)سيد حسين العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ج٢، دار ماجد عيري للنشر والتوزيع، ط١ ١٤٢٤هـ،٢٠٠٤م
٤٥)سيف الدين الآمدي: غاية المرام في علم الكلام ، تحقيق حسن محمود عبداللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،١٣٩١هـ
٤٦)السيوطي: الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء، ضمن كتاب الإسراء والمعراج لابن حجر العسقلاني والسيوطي، تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م
٤٧)عباس محمود العقاد: المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد المجلد الأول: توحيد وأنبياء، والمجلد الرابع: القرآن والإنسان، والمجلد الخامس: بحوث إسلامية، والمجلد السادس والعشرون، النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني- بيروت، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م
٤٨)عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، سينا للنشر،الطبعة الثانية،١٩٩٣م
٤٩)عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد عثمان الخشت،مكتبة ابن سينا
٥٠) عبدالحليم محمود: دلائل النبوة ومعجزات الرسول، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت الطبعة الأولى،١٤١٤هـ،١٩٩١م
٥١)فخر الدين الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، مكتبة الكليات الأزهرية
٥٢)القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين، ضمن كتاب رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة،دار الشروق،الطبعة الثانية١٤٠٨هـ،١٩٨٨م
٥٣) _____: المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق محمود محمد قاسم، ج١٥ التنبؤات والمعجزات، وج١٦ إعجاز القرآن
٥٤) القاضي عبدالجبار : تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى، شبرا، القاهرة
٥٥)القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري،الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م
٥٦)القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وآخرون، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية،١٣٨٤ه، ١٩٦٤م ، ج ٢٠
٥٧)القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية،تحقيق: د. عبد الحليم محمود ود.محمود الشريف، دار المعارف القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م،ج٢

٥٨)الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م
٥٩) _____: المنقذ من الضلال، تقديم وتحقيق محمود بيجو،الطبعة الثانية، الناشر دار التقوى، ودار الفتح
٦٠)_____: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر،الطبعة السادسة
٦١)محمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الفكر، بيروت
٦٢)محمد أبو زهرة: زهرة التفاسير: دار الفكر العربي، ج١٠
٦٣) محمد إقبال: تطور الفكر الفلسفي في إيران،ترجمة حسن الشافعي، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ط١٤٠٩،١هـ،١٩٨٩م
٦٤)محمد الخضر حسين: موسوعة الأعمال الكاملة ، المجلد الرابع(محمد رسول الله وخاتم النبيين)، اعتنى به المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، الطبعة الأولى١٤٣١هـ،٢٠١٠م
٦٥)محمد باسل الطائي: الطبع والسببية عند الباقلاني،بحث منشور بمجلة دراسات الجامعة الأردنية، حزيران ٢٠٠٦م
٦٦) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة
٦٧)_____: تفسير المنار،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،ج١
٦٨)_____: مجلة المنار، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،١٣٢٧هـ ،الطبعة الثانية
٦٩) محمد عبده: تفسير جزء عم، نشرته الجمعية الخيرية الإسلامية، مطبعة مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٤١هـ
٧٠) _____: الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م
٧١)_____: رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى،١٤١٤هـ،١٩٩٤م
٧٢) محمد عثمان الخشت: الدين والميتافيزيقا عند هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
٧٣) محمد فريد وجدي: الإسلام في عصر العلم، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة
٧٤)_____: المصحف المفسر، مطبعة العلوم بشارع الخليج،الطبعة الخامسة، ١٣٦٨هـ، ١٩٤٨م
٧٥)_____: دائرة معارف القرن العشرون، دار الفكر بيروت، المجلد السادس
٧٦)محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، الناشر أخبار اليوم
٧٧)محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشر الأولى، دار الشروق،ط ١٢، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م
٧٨) المرتضى الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ج١٥
٧٩)مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، تحقيق أنور الباز، وعامر الجزار، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ،١٩٨١ م،ج٤
٨٠)نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية،١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م، ج١، مادة خرق
٨١)نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، توزيع دار العربية، الطبعة الثالثة١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م

٨٢)هيكل، محمد حسين: حياة محمد: دار المعارف، الطبعة الرابعة عشرة
٨٣)ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الأول (٢)، ترجمة محمد بدران، والجزء الأول من المجلد العاشر (٣٩)، ترجمة فؤاد أندراوس وعلي أدهم، دار الجيل، بيروت ـ لبنان
٨٤) يمنى طريف الخولي: الطبيعيات في علم الكلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع
٨٥)_____: فلسفة العلم في القرن العشرين، ضمن سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ديسمبر ٢٠٠٠م،رقم العدد٢٦٤، ص ١١٠ ومابعدها

كتب باللغة الأوردية

٨٦)سيد أحمد خان: الخطابات الأحمدية في العرب والسيرة المحمدية، دوست ايسوسي اينس، ناشران وتاجران كتب، الكريم ماركيث اردو بازار، لاهور